السعيد بنموسى

تاريخ فن تسفير المصاحف الشريفة والكتب المخطوطة بالمغرب

(من عهد الموحدين إلى عهد الشرفاء العلويين)

الإيداع القانوني : 1996/1311
ر.د.م.ك : 6-1-9525-9981

إهــداء

إلى الأبوين الكريمين

أطال الله عمرهما

إلى زوجتي شريكة الحياة

إلى أبنائي يوسف ومريم

إلى من علمني

أهدي هذا الكتاب المتواضع

«بسم الله الرحمان الرحيم»

المقدمة

خلال مشاركتي في المعرض الدولي الخامس للكتاب الذي نظمته وزارة الشؤون الثقافية تحت الرعاية السامية لصاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله، سألني الزوار عن معنى كلمة "التسفير"، وعن الفرق بين كلمة التسفير، وكلمة التجليد، وقد كان جوابي أنه ليس هناك فرق، فالمعنى واحد، وكل مافي الأمر هو أن هذه المهنة معروفة في المغرب بالتسفير وفي المشرق بالتجليد، إلا أن مصطلح التسفير قد يكون أكثر تداولا، وقد استعمل في بعض فنون الوراقة قديمها وحديثها.

إن القصد من تأليف هذا الكتاب، إذن، هو أن أعرف القارئ بتاريخ هذه المهنة الشريفة التي ورثناها عن أجدادنا رحمهم الله جميعا، وعن طريقة فن التسفير القديم التي لا يعرفها إلا القليل من الناس، حيث كان هذا الفن العربي الإسلامي متطورا للغاية، مقارنة مع التسفير الأوربي، من ناحية التقنيات والتزيينات.

وقد أثار هذا الفن إعجاب الأوربيين كثيرا، ثم انتقل هذا التأثير عن طريق المغرب والأندلس إلى البلدان الأوربية في نهاية القرن الخامس عشر.

ولمزيد من التوضيح، ولأسهل الاستفادة، فقد حاولت جمع وتصوير أدوات التسفير والتذهيب القديمة التي كانت تستعمل في ذلك الوقت، والتي ذكر البعض منها أبو العباس محمد السفياني رحمه الله في كتابه «صناعة تسفير الكتب وحل الذهب» الذي ألفه في عهد السعديين.

أما في ما يخص ترميم المخطوطات فقد بدأت هذه العملية في أوربا في وقت متأخر، وذلك حتى بداية الثمانينات، كما يشهد على ذلك الأستاذ والخبير الاسباني السيد "Vicente" الذي درست على يده فن ترميم المخطوطات.

وفي الواقع لقد كان للمغاربة السبق في هذا المجال، حيث أن أحد أعلام فاس ابراهيم بن محمد الخياط بن أبي القاسم الدكالي المسترائي الفاسي كان قد رمم مخطوط «تاج المفرق» بعد أن تلاشت أوراقه، وذلك سنة ثلاث وستين ومائة وألف، كما ذكر لنا المؤرخ سيدي محمد المنوني في كتابه تاريخ الوراقة المغربية.

وعند إلتحاقي بالخزانة العامة سنة 1971 وجدت المسفر المرحوم عبد الرحمان لحلو يرمم المخطوطات بطريقة يدوية، أي بالورق الشفاف البلاستيكي العادي بعد تغريته بالغراء الصفراء المحلولة بالماء البارد.

ولازالت هذه المخطوطات، المرممة بهذه الطريقة، موجودة بقاعة المرحوم ابراهيم الكتاني بالخزانة العامة للكتب بالرباط.

ويعرف الترميم حاليا بأوربا عدة طرق، فهناك الطرق الإيطالية والفرنسية والإنجليزية والأمريكية والروسية والألمانية وغيرها، وكل هذه الدول تتنافس، وتحاول أن تتميز عن بعضها بتقنياتها، وابتكاراتها في هذا المجال.

ويتبين من خلال الأبحاث التي قمت بها أنّ المرأة كانت دائما غائبة في هذا المجال، ولم تهتم، ولا تحترف فن التسفير إلا نادرا، إذ أن إحدى أديبات بلاد الشام سارة الحلبية نزيلة المغرب تعتبر استثناءا في هذا الميدان، ذلك أنها كانت تحل الذهب بصناعة رائقة فتكتب به فقط، لاتزخرف ولا تسفر.

أما داخل المجتمع المغربي فقد كانت النساء تحترفن نساخة الكتب لا غير، ذلك أن المرأة كانت تكتب المصاحف أو كتب الأحاديث وزوجها هو الذي يتكلف بالتسفير والتذهيب والبيع بالأسواق «بالدلالة».

أتمنى مستقبلا أن لاتبقى المرأة المغربية، بعيدة عن هذا الفن، وخاصة أن هذه المهنة لا تحتاج إلى جهد عضلي كبير.

وأنا على استعداد لألقن مبادئ هذا الفن لكل شاب وشابة أبدى الرغبة في ذلك.

وكما يقول الرسول ﷺ «لاينبغي للجاهل أن يسكت عن جهله، وليس للعالم أن يسكت عن علمه» وخاصة في علم هذه «الصنعة»، حتى نحافظ على هذا الإرث الحضاري الأصيل.

وفقنا الله لما فيه الخير، على قدر ايماننا بالخير.

السعيد بنموسى

الرباط في 25 رمضان 1416
الموافق 16 فبراير 1996

مدخل

بدأت صناعة التسفير في أواخر العصر اليوناني، أي قبل أن يكتشف الصينيون صناعة الورق. وظهرت مع ظهور الكراس، حيث كان اليونانيون، والرومانيون، يكتبون خلال العصر القديم في غالب الأحيان على ورق «البردي» الذي كانوا يستوردونه من مصر، عن طريق الفنيقيين. وكانت مصر في ذلك الوقت أكبر منتج ومصدر لهذه المادة.

وقد كان الكتاب المدون على ورق البردي، يأخذ دائما شكل اللفافة، ومع مرور الزمن اكتشفوا أن هذا الورق لايقاوم الزمن، ويتعرض للتلف، فبدأوا ينقلون النصوص من ورق البردي إلى الرقوق، ومع إزاحة الرق لورق البردي أخيرا، ساد الشكل الجديد للكتاب «الكراس CODEX» عوضا الشكل القديم، اللفافة، وفي الواقع كان الكراس كشكل جديد للكتاب، له أفضلية كبيرة على الشكل القديم اللفافة، حيث كان الكراس يتألف من طوي قطعة رق كبرى، ثم كانت تجمع عدة صفحات من هذا النوع، إلى أن يتكامل الكراس.

والكراس عادة كان يحمى بغطاء من الجلد السميك، أو يجمع بين لوحين من الخشب، ثم يقفل بقفل، واحد، أو أكثر، ليمكن اقفال الكراريس المخطوطة اقفالا محكما.

وقد كان الكراس أسهل بكثير من ترتيب اللفافات، لأنه كان يمكن وضع الكراس الواحد فوق الآخر، أو الواحد جنب الآخر. دون أن يخشى عليه من التقوس، والانكسار. ومع اشتهار الشكل الجديد «الكراس المصنوع من الرق» أصبح الكتاب يأخذ باستمرار ملامح فاخرة، واستعراضية، ومن هنا بدأت صناعة تسفير الكتب، كحرفة لها صناعها المختصون بها، وذلك في أواخر العصر القديم.

هذا ما يؤكده المؤرخون والخبراء وخاصة الخبير البروفسور اليوغسلافي الدكتور الكسندر شتيبتشفيتش[1] الذي يعتبر من الخبراء المعروفين في مجال تاريخ الكتاب.

والآن بعد هذا المدخل نتناول نشاط التسفير في أربع عصور:

1 ـ عصر الموحدين
2 ـ عصر المرينيين
3 ـ عصر السعديين
4 ـ عصر الشرفاء العلويين



نموذج كتاب مقفول بقفلين

---

(1) تاريخ الكتاب: د. الكسندر شتيبتشفيتش القسم الأول- ص ـ 87 ـ 88 ـ 89 ـ 90 ترجمة: د. محمد الأرناؤوط. عالم المعرفة عدد 169 ـ 170.

عصر الموحدين

الفصل الأول

1 ـ تسفير مصحف سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه في المغرب

2 ـ الزخرفة الموحدية

3 ـ نماذج من بعض الأختام الموحدية

4 ـ الجلد المغربي الممتاز

5 ـ أسلوب تحويل الجلود إلى رقوق (بالرقاقين)

6 ـ نظرة سريعة على مواد الكتابة عند العرب

7 ـ السفارين

8 ـ أبو الحسن المسفّر

9 ـ التوريق والوراقة

10 ـ الأرابيسك وفن التصوير في المخطوطات المغربية

تسفير مصحف سيدنا عثمان بن عفان
رضي الله عنه في المغرب

لم يكن للمغرب معرفة بفن التسفير إلا بعد الفتح الإسلامي، وقد تعلم المغاربة أساليب التسفير، باستعانة الصناع الذين نزلوا من الأندلس.

ولاشك أن التسفير في المغرب كان في أول الأمر أندلسيا، وبعد ذلك أخذ المغاربة يتقدمون ويتفننون في إبداعه ثم ظهر مسفرون على الطريقة المغربية، بين مغاربة وأندلسيين استوطنوا بالمغرب.

وفي هذا العهد، أي عهد عبد المومن بن علي الموحدي ازدهرت صناعة فن التسفير، وقد كتب وزيره ابن طفيل رسالة طويلة، يصف فيها ماعمله عبد المومن بن علي، في تحلية المصحف العثماني، الذي وصل إليه هدية من قرطبة[1].

وهذا ملخص هذه الرسالة:

«... فاجتمع لذلك حداق كل صناعة ومهرة كل طائفة من مسفرين وزواقين ورسامين وصواغين ونقاشين ومهندسين وكذلك النجارين. فتمكنوا من تسفير هذا المصحف بأغشية بعضها من السندس الأخضر. وبعضها من الذهب والفضة. ورصعوا ذلك بأنواع اليواقيت، وأصناف الحجارة الكريمة، واتخذ للمصحف كرسي على شاكله، ثم اتخذ للجميع صندوق منقوش، وأعد له مفتاح يدخل فيه، فإذا دخل المفتاح وأديرت به انفتح الباب بانعطاف الدفتين إلى داخل الدفتين من تلقائه، وخرج من ذاته، وفي خلال خروجه يتحرك عليه المحمل حركة منظمة مقترنة بحركة يأتيها مؤخر الكرسي زحفا إلى مقدمته فإذا كمل الكرسي بالخروج وكمل المحمل بالتقدم عليه، انغلق الباب برجوع الدفتين إلى موضعهما من تلقائهما، دون أن يمسها أحد، وترتب هذه الحركات الأربع على حركات المفتاح فقط، دون أن تكلف شيئا آخر فإذا أدير المفتاح إلى خلف الجهة التي أدير إليها في الأول، انفتح

(1) نفح الطيب: ج 1 ـ ص ـ 286.

الباب وأخذ الكرسي في الدخول والمحمل في التأخر عن مقدم الكرسي إلى مؤخره، وإذا عاد كل شيء إلى مكانه، انسدّ الباب بالدفتين أيضا من تلقائه، وكل ذلك يترتب على حركة المفتاح كالذي كان في حال خروجه».

وقد ذكر لنا ابن صاحب الصلاة[2] اسم واحد من هؤلاء الصناع، وهو عمر بن الموجي الاشبيلي. كما ذكر لنا ابن القاضي[3] اسم أحد المسفرين الموحدين، وهو عمر بن بكر ابراهيم المجاهد اللخمي الإشبيلي، مسفر ومؤلف كتاب «التيسير في صناعة التسفير». الذي رتبه في عشرين بابا، هي كالتالي:

- باب الأداة
- باب الأغرية
- باب التخريم وحكمه
- باب التقفية
- باب التسوية
- باب الحبك وحكمه
- باب التبطين
- باب البشر
- باب تركيب الجلد
- باب العمل في الأسفار البوالي ورد الكسا عليها
- باب طبخ البقم
- باب النقش
- باب نقش الضرس
- باب الأمثلة
- باب العمل في الأزرة والغراء
- باب العمل في أقربة المصاحف
- باب العمل في الأقربة المبنية
- باب العمل في الجوامع
- باب النكث
- باب في العيوب

---

(2) (تاريخ المن بالامامة) تحقيق عبد الهادي التازي

(3) (جذوة الاقتباس) عند ترجمته.

وعرفنا بطريقة تسفير المصاحف الشريفة. وهي التي تسفر بدون استعمال اللوح (الخشب) ونجدر الاشارة إلى أن في هذا العصر كانت تستعمل دفف الكتاب بالخشب عوضا عن الكرطون، الذي ابتكره المسلمون. وفي موضع لاحق سنتحدث عن هذه التقنية.

وعرفنا أيضا بكيفية العمل في أغشية المصاحف.

ويصف لنا في باب العمل في أقربة المبنية. وفي ختام هذا الباب يصف لنا عن عمل أوعية جلدية، لحفظ السكين، والمقرضين، أو لصيانة الأقلام.

وأشير هنا كذلك إلى أن هذا العصر كان المسفر يصنع بالجلد أوعية للمحابر، وأوعية لأدوات النساخة، والمحافظ وغير ذلك، ولما ظهرت صنعة (البزطام) في عهد الحماية. اقتصر دور المسفر على تسفير الكتب وتذهيبها، وأصبحت صناعة المحافظ وغيرها من المصنوعات الجلدية لها صناعها مختصون بها.

وبعد هذا كان الموحدون، في عهد يعقوب المنصور حفيد عبد المومن[4] «يحملون المصحف العثماني بين أيديهم أنى توجهوا. على ناقة حمراء عليها من الحلي النفيس وثياب الديباج الفاخرة ما يعدل أموالا طائلة، وقد جعلوا تحته بردعة من الديباج الأخضر يجعلونها عليها، وعن يمينه ويساره عصوان عليهما لواءات أخضران، وموضع الأسنّة منهما مذهب شبه تفاحتين. وخلف الناقة بغل محلاّ أيضا، عليه مصحف آخر يقال أنه بخط ابن تومرت، دون مصحف عثمان في الجرم. محلا بفضة مموهة بالذهب، هذا كله بين يدي الخليفة منهم».

إلى هنا ننهي الكلام عن المصحف العثماني في هذا العصر وسنواصل مواصلة الكلام عنه في العصر المريني.

---

(4) (المعجب في تلخيص أخبار المغرب) عبد الواحد المراكشي دار الكتاب. الدار البيضاء الطبعة السابعة ص 366

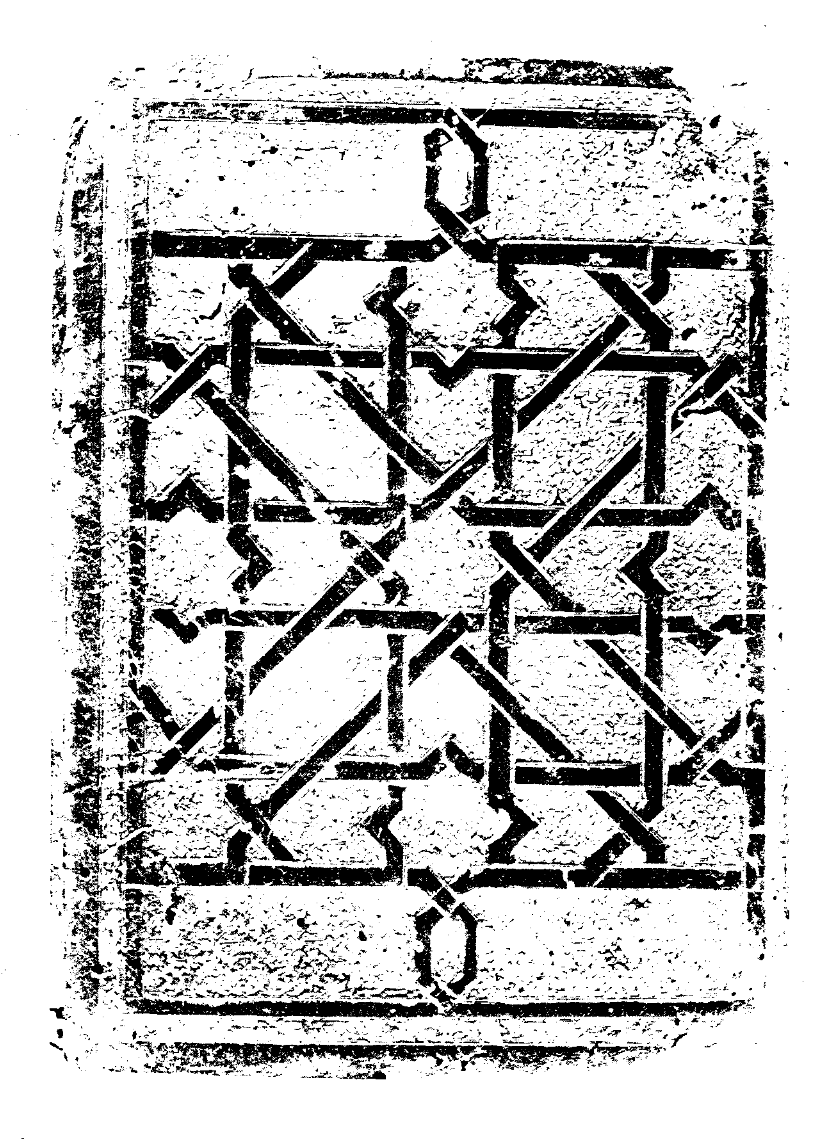
الزخرفة الموحدية

في عصر الموحدين، كان فن التسفير متطورا للغاية، وخاصة من ناحية الزخرفة في أغلفة المصاحف. فقد كانوا يزينوها بأختام أو بأشكال زخرفية على كل الجلد بحركة واحدة وذلك باستعمال ورق الذهب، ولوح معدني محفور ساخن يضغط على الجلد بآلة الضغط الخشبية لتبرز بعض أجزاءه، وهي هذه الزخارف التي نرى في الصورة بالأسود[5]. وينخفض البعض الآخر. وهو المذهب بالتذهيب داخل الزخارف. ومن حسن الحظ لازالت محفوظة إلى اليوم بمتحف حديقة الأوداية وبمكتبة ابن يوسف بمراكش والخزانة العامة بالرباط تحت رقم 658ج، مصاحف موحدية بخط عمر المرتضى أواخر الخلفاء الموحدين، غلافها بجلد المعز وبالطريقة المذكورة، وقد رممها المرحوم عبد الرحمان لحلو أواخر السبعينات بالخزانة العامة بالطريقة القديمة، باستثناء المصحف الحفوظ بمتحف الأوداية، فقد رمم بفرنسا. وحسب سيدي محمد المنوني[6] «تتألف هذه المصاحف من عشرة أجزاء، يحتوي كل جزء على ستة أحزاب، وكانت توجد تامة بمكتبة ابن يوسف بمراكش حتى عام 1149 هـ، ثم تفرقت بعد ذلك».

---

(5) انظر الصورة ـ ص ـ 17. ويمكن القول أن الألماني غوتنبرغ أخذ هذه التقنية من محلات التسفير وتوصل بها إلى اختراع الطباعة.

(6) تاريخ المصحف الشريف بالمغرب "مجلة دعوة الحق" العدد 4 السنة 22 يونيو، يوليوز 1981 ص 19 ـ 20.

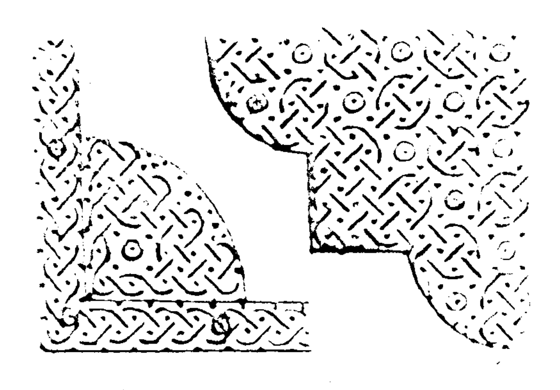


نموذج من أحد المصاحف الموحدية العشرة، مزخرف بالطريقة المذكورة وهو بخط عمر المرتضى أواخر الخلفاء الموحدين

نماذج من بعض الأختام الموحدية[7]







(7) انظر مجلة (هسبريس) المجلد 17، العدد 2 سنة 1933. ص 109 ـ 127.

الجلد المغربي الممتاز

(La MAROQUINERIE)

الجلد هو المادة الرئيسية لتسفير المصاحف والكتب.

في القرن الثالث عشر، كانت بعض الكتب تسفّر بشكل مميز. كالمصاحف وكتب الملوك والأمراء والأغنياء. وكان يستعمل نوع خاص من الجلد، كالجلد المغربي، الذي يعتبر من الأنوا ع الفاخرة.

وقد تميز المغاربة بإجادة صناعته ودباغته حتى أن الأوربيين أطلقوا عليه منذ عهد قديم إسم (La Maroquineric) نسبة للمغاربة. ولا شك أنه سمي أيضا باسمهم نظرا لأنهم كانوا ولازالوا، يمتازون بمهارتهم الفائقة في فن التسفير، وجميع المصنوعات الجلدية

وتجدر الإشارة إلى أن المغرب كان على امتداد حقب تاريخية طويلة، منتجا عالميا للجلد ولازال.

وفي هذه الفترة كان يصدر من قرطبة[8].

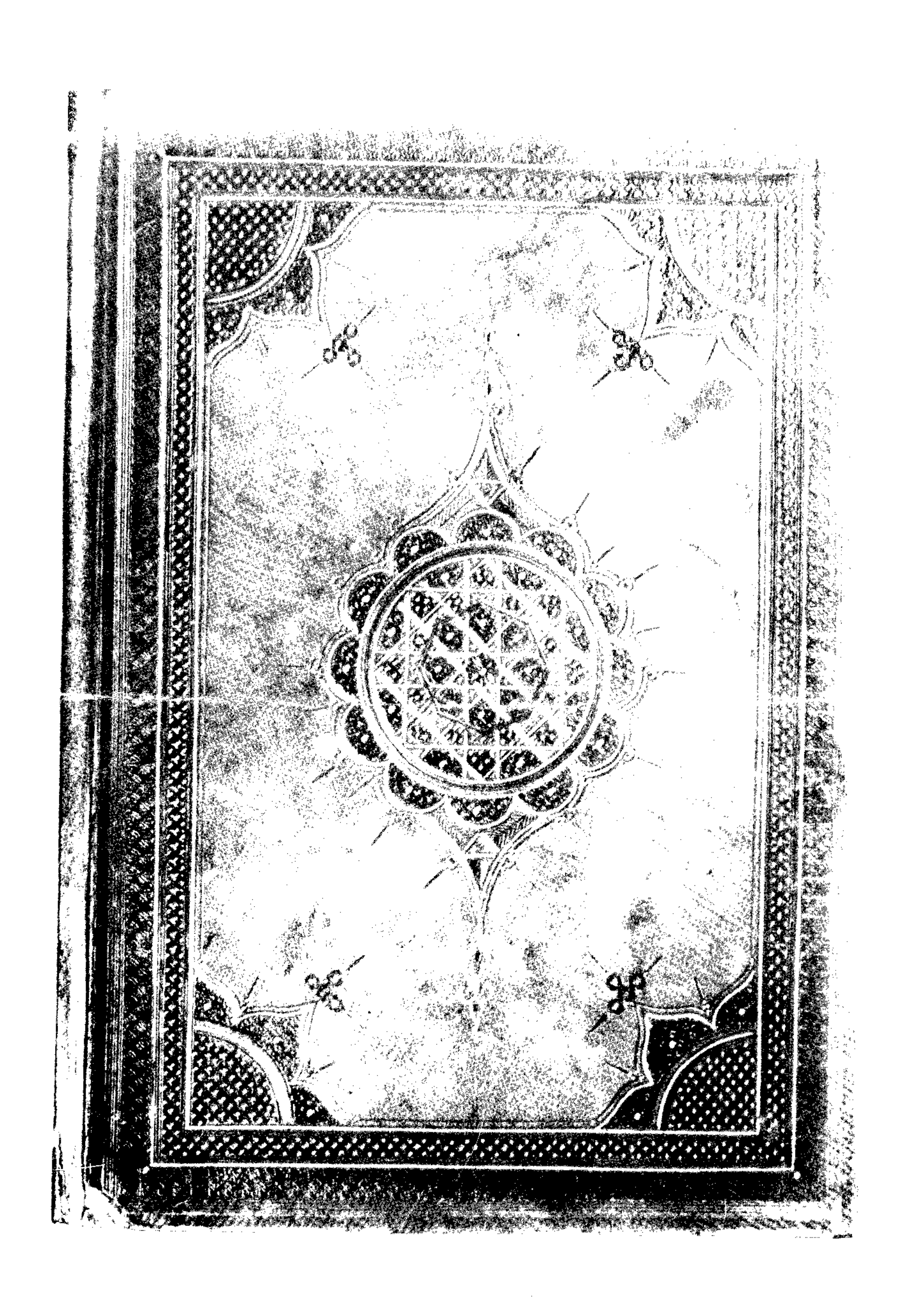
وتوجد هناك في المتحف البريطاني، وفي مصر من العصر المملوكي (1250 هـ 1517م) أقدم جلود كتب صنعت في المغرب، مزوقة بالذهب وبأشكال بديعة تستهوي الناظرين.

---

(8) (تاريخ الكتاب) دالكسندر ستيبتشفيتش القسم الثاني- ص- 137، عالم المعرفة



مدبغة الجلد التقليدية



مصحف شريف بالجلد المغربي. من عصر المماليك

المتحف البريطاني - لندن -

أسلوب تحويل الجلود إلى رقوق (بالرقاقين) بفاس
(Parchemin)

في هذا العهد، كانت توجد بمدينة فاس، دكاكين (الرقاقين). وهم صناع مختصون في صناعة الرق، حيث كانوا يستعملون جلود صغار الغزلان، ويحولونها من جلد إلى الرق (Parchemin).

فكانت هذه الجلود توضع ثلاثة أيام في ماء الجير، لكي تذوب عنها المواد الذهنية، كالشحم وبقايا اللحم. وبعد ذلك يزال عنها الشعر بالمكشطة، ثم تترك مدة من الزمن، لكي تجف تماما، وفي النهاية تأخذ لتصقل من الطرفين بحجر القوصري (خفان) حتى تصير رقيقة وناعمة الملمس، وتحك بعد ذلك بالصمغ العربي فتصير بيضاء، وتقطع على شكل كراس.

وبهذا كان الجلد أخيرا يتحول إلى رق صالح للكتابة.

وقد ورد ذكر الرق في القرآن الكريم «والطور وكتاب مسطور في رق منشور»[9].

وتوجد هناك في الاسكوريال بمدريد، بعض المخطوطات العربية مسفرة بالرق بدلا من الجلد العادي[10].

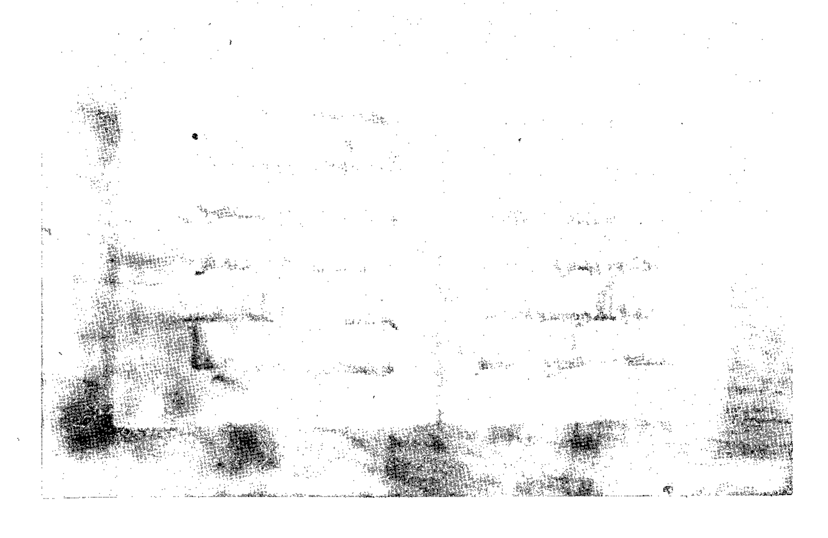
ومن الجدير بالذكر إلى أن أكثر مخطوطات الأسكوريال في مدريد سرقت من خزانة السلطان السعدي زيدان بن أحمد المنصور، كان يريد نقل أربعة آلاف مخطوط عربي من سلا إلى أكادير سنة 1617م، فأرسلها في سفن في البحر. فأسره القراصنة الاسبان، واستولوا على هذه المخطوطات، وأودعوها في مكتبة دير الاسكو ريال.

وجميع هذه المخطوطات المغربية يوجد عليها خاتم مولاي زيدان

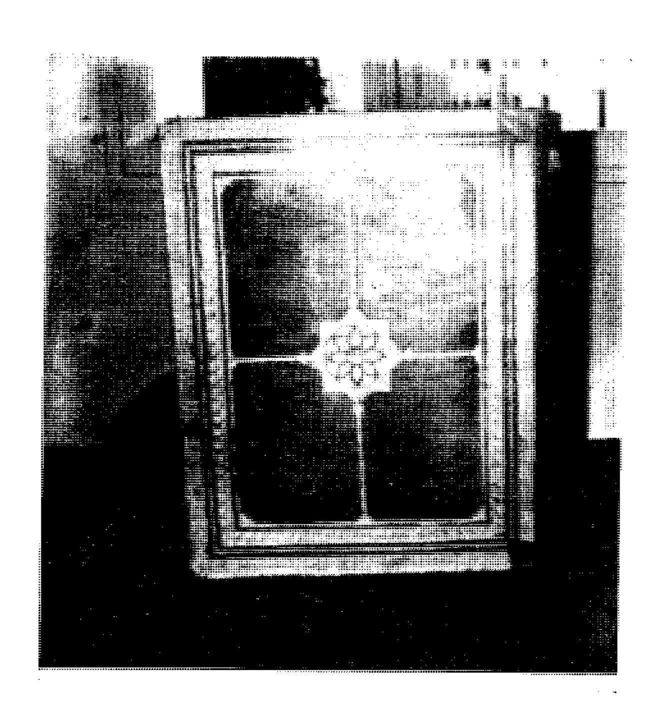
---

(9) (سورة الطور)

(10) حسب الإسبانية السيدة (HERNANZ) الاختصاصية في ترميم الرق بمدريد



مخطوط على رق الغزال بخط كوفي قيرواني الخزانة العامة تحت رقم ج 1



غلافه مزخرف بالتذهيب

نظرة سريعة على مواد الكتابة عند العرب[11]

الأديم : الجلد المدبوغ بالأحمر وكانت هي مادة الكتابة في زمن رسول ﷺ

الأعشاب : جريد النخيل كانت الكتابة عليه شائعة عند العرب نظرا لتوفره بكثرة في البيئة الصحراوية.

اللحاق : الحجر الرقيق

الاكتاف عظام المواشي ذات الأضلاع العريضة استعملها العرب فجر الإسلام

الهارق القماش الأبيض

البردي . وهذا نبات مصري قديم كما ذكرنا في مدخل هذا الكتاب. وسمي أيضا بالورق الفرعوني لأنه كان ورقا خاصا يستعمل في البلاط الفرعوني

الرق : (بكسر الراء وفتحها): الجلد الرقيق. والعرب كانوا يستخدمونه قبل ظهور الاسلام وغيره من مواد الكتابة لتدوين النصوص التجارية. والإدارية الخ... ولدينا في القرآن، الكريم معطيات كافية تشير إلى ذلك

الورق . اخترع في أول القرن الثاني الميلادي على يد الصيني (تساي لون) ثم تعلم العرب هذه الصنعة عن طريق الأسرى من الصينيين سنة 134هـ 751م وهجروا استعمال الرق.

وحسب سيدي محمد المنوني نقلا عن (روض القرطاس) وجناز زهرة الاس «كانت بمدينة فاس 400 معملا لصناعة الورق، أيام يعقوب المنصور وابنه محمد الناصر...

ومركز هذه المعامل كان يعرف بالكغادين»[12].

وما يزال بفاس أسرة يقال لهم أولاد الكغاط بالطاء بدل الدال (والكاغيد) كلمة معروفة عندنا في المغرب وهي الورق.

---

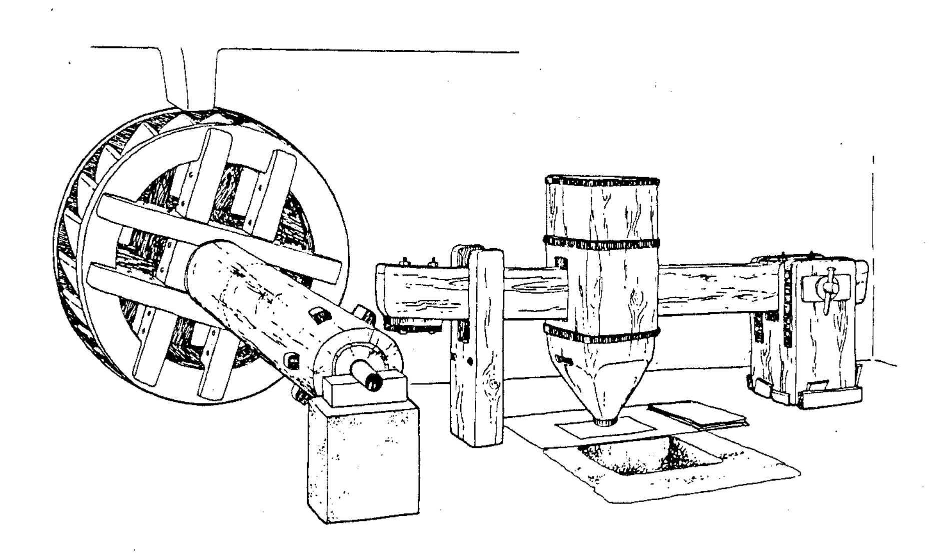
(11) انظر مجلة الفيصل عدد 35 الكتابة والكتاب: علي الشهيدي

(12) تاريخ الوراقة المغربية، محمد المنوني

وكان الورق المغربي في هذا العصر يصدر إلى الخارج لنوعه الممتاز.
كما كان المغرب والأندلس أهم طريق دخلت منها صناعة الورق إلى أوربا.



معجن الورق الذي اخترعه الصيني (تساي لون)



آلة معجن الورق بعد أن طورها العرب

السفــاريــن

وفي فـاس، مدينة العلم والحضـارة، فـقـد أطلق على أحد أزقـتـهـا إسم زنقة «السفارين» نسبة للمسفّر نظر الكثرة دكاكين التسفير، وأن مكان هذه الدكاكين، هي التي تعرف اليوم بالصفارين بابدال (السين) بالصاد، ولا شك أنهـا سـميت فيما بعد بالصفارين، نظرا لكثرة دكاكين لسبك الصفر، وتفضيضه، هذه الصنعة التي كانت أو لا بمدينة تارودانت في عهد قديم، ثم انتقل بعض صناعها إلى مدينة فاس، وعلموا صنعتهم لكثير من سكانها.

وقد اعتاد المغاربة أن يسموا أزقة قاع المدينة، باسم الحرف التي توجد بها بكثرة، كالرقاقين بفاس، الذين يختصون في صناعة، الرق، وهذه المهنة انقرضت اليوم وقد رأينا من قبل كيف كانوا يحولون الجلد إلى رق، والسراجين، الذين يختصون في صناعة سرج البغال، والسرابليين، أي صناعة السربيل، وزنقة الطاجين بمدينة الرباط، والخرازين، أي حرفة الخرازة (البلغة) والسمارين، والحرارين وغير ذلك من الحرف.

وفي عصرنا الحاضر مازال موجود (بالصفارين) دكان للتسفير، وهو لأسرة معروفة في فاس ومتأصلة في هذه المهنة[13].

وحسب بعض الصناع المسنين، كانت هذه الصنعة، محتكرة على أولادهم منذ زمن قديم، فكانوا لا يعلمونها إلا لهم، أو لمن تصاهر معهم.

ولهذا السبب، أصبح عدد صناعها بمدينة فاس إلا عدد قليل جدا لا يتجاوز عدد اليد الواحدة.

ولا أجرؤ على ذكر اسم هذه العائلة هنا احتراما لهم، وخوفا من جرح عواطفهم. وتجدر الإشارة إلى أنه كانت قبل عصر الموحدين، أي في عصر المرابطين، أيام يوسف بن تاشفين بجوار جامع القرويين، حانوت يستغل بها صانع يسفر الكتب، ويزخرف دفاتها الجلدية بخطوط وأشكال مذهبة[14]

وهذا الصانع هو عبد الرحمان بن الصقر توفي سنة 523 هـ ــ 1129م وبهذا يكون أول مسفر مغربي في ذلك الوقت.

أما في مدينة مراكش فكانت توجد بجوار مسجد الكتبية عدة دكاكين للتسفير، ولسوء الحظ لم أعثر على أحد أسماء المسفرين بالكتبية بالمصادر المكتوبة.

---

(13) لما انتهى بي المسار الى فاس، تابعت البحث عن هذا الدكان بالصفارين ولسوء الحظ لم أعثر عليه، فاستجويت بعض الصناع وأصحاب المكتبات فاخبروني بانه أغلق في بداية التسعينات.

(14) (جدوة الاقتباس) ص. 262

أبو الحسن المسفر[15]

ونجد في عصر الموحدين، عائلات عرفت بلقب المسفّر. كعائلة الشيخ الحكيم أبو الحسن المسفر السبتي، عرف بلقب المسفّر الذي يعني أنه من أهل صناعة تسفير الكتب، ربما آل المسفّر الأشراف الحسينيين المعروفين بفاس.

ولهذا الشيخ قصيدة مشهورة «قل لإخوان رأوني ميتا» ويقال أنها وجدت تحت وسادته قبل وفاته وهي هذه .

قل لأخوان رأوني ميتا   فبكوني ورثوني حزنا
أتظنون بأني ميتكم   لست ذاك الميت والله أنا

إلى آخر القصيدة.

(15) الأستاذ الكبير سيدي عبد الله كنون (النبوغ المغربي) مطبعة دار الكتاب اللبناني ص 165

التوريق والوراقة

بعض القراء يظنون أن كلمة التوريق تعني الورق، أو استعمال الورق في صناعة، أو شيء من هذا القبيل

وفي الواقع لا تعني ذلك، وإنما تعني عنصر معينا من عناصر الزخرفة بالأزهار، والنباتات، والمناظر الطبيعية انتشر استعمالها على الأغلفة الجلدية للكتب، وعلى العمائر، والخزف، والزجاج، والبللور، وأدوات الحياة اليومية في العصور الإسلامية المتتابعة.

وبلغ فن التوريق، أو الزخرفة روعته في أغلفة المصاحف، والكتب المخطوطة الموجودة بالمكتبات المغربية والأجنبية.

وكانت للعرب في عصر العلم والنور، هوايتهم المفضلة، هي اقتناء المخطوطات النادرة، وخاصة المزينة بالتوريق، أو المزخرفة بالتخريم، أو بالتشجير، وبشكل فخم، سواء بدافع حب المعرفة، أو بدافع التقليد أو الزينة

وكما قالت زيغريد هونكة[16]

«فكل متعلم من أكبر كبراء الدولة إلى بائع الفحم ومن قاضي المدينة إلى مؤذن المسجد، وهو زبون دائم عند بائع الكتب، إن متوسط ما كانت تحتويه مكتبة خاصة لعربي في القرن العاشر، كان أكثر مما تحتويه كل مكتبات الغرب مجتمعة».

وقد عرف في الأندلس نوع آخر من اقتناء الكتب حبا في الزينة والمظهر أكثر من طلب العلم والرغبة فيه. وقد حكى المقري في نفح الطيب[17] على لسان الحضرمي الرحالة وجامع الكتب يقص علينا قصة وقعت له في سوق الكتب في قرطبة قال : «أقمت مرة في قرطبة ولازمت سوق كتبها مدة أترقب فيها وقوع كتاب لي بطلبه اعتناء إلى آن وقع وبخط مليح، وتسفير مليح، ففرحت به أشد الفرح وجعلت أزيد في ثمنه فيرجع إلى المنادي بالزيادة إلى أن بلغ فوق حده فقلت له:

(16) (شمس العرب تسطع على الغرب)

(17) الجزء الأول الصفحة 463.

- أعز الله سيدنا الفقيه إن كان لك غرض في هذا الكتاب تركته لك، فقد بلغت فيه الزيادة بيننا فوق حده فقال لي : لست بفقيه، ولا أدري ما فيه ولكنني أقمت خزانة كتب، واحتفلت بها لأتجمل بها بين أعيان البلد وبقي بهاموضع يسع هذا الكتاب، فلما رأيته حسن الخط جيد التجليد استحسنته ولم أبال بما أزيد فيه والحمد لله على ما أنعم به من الرزق فهو كثير - قال الحضرمي - فأحرجني وحملني على أن قلت له : نعم ألا يكون الرزق كثير إلا عند مثلك يعطي الجوز من ليس له أسنان، وأنا الذي أعلم ما في هذا الكتاب، وأطلب الانتفاع به، يكون الرزق عندي قليل، وتحول قلة ما بيدي بيني وبينه».

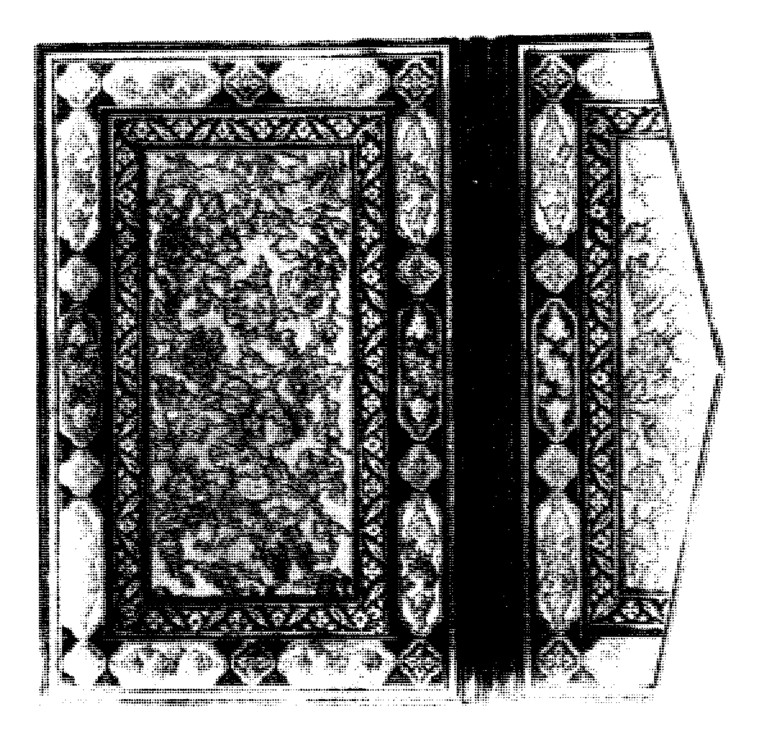
وقد كانت المخطوطات المسفرة تسفيرا نفيسا كما رأينا في هذه القصة ترفع من ثمنها وخاصة كتاب الله المقدس الذي أتقنه المسفرون والذي كان يسفر أحيانا للملوك والأغنياء بالذهب والياقوت والأحجار الكريمة.

وقد رأينا من قبل، كيف أن عبد المومن بن علي جمع عدد من الصناع المهرة لتسفير المصحف العثماني، الذي وصل إليه هدية من قرطبة، بالذهب والياقوت والأحجار الكريمة.

أما الوراقة فهي صناعة الورق والنساخة والتسفير وسائر الشؤون الكتبية كما يقول ابن خلدون[18].

---

(18) (مقدمة ابن خلدون) الصفحة 421 المجلد الأول. دار البيان



التوريق على غلاف جلدي من القرن السابع عشر (يظهر أنه ايراني التسفير)

الأرابيسك وفن التصوير في المخطوطات المغربية

(ARABESQUE) أي فن الزخرفة العربية الإسلامية، والأوربيون هم الذين اطلقوا هذا الإسم نسبة إلى العرب.

والأرابسك لم يقتصر على أغلفة الكتب فقط، وإنما شمل العمائر والمنسوجات والخشب والتحف المعدنية والزجاج والبلور وغير ذلك.

أما فن التصوير في المخطوطات المغربية فهي خالية من الأشكال الإنسانية والحيوانية. ولم يصل إلينا إلا عدد قليل جدا منها وفي الواقع كان المغاربة يرفضونها وينفرون منها لأسباب دينية، لأن الرسول ﷺ حارب تقديس الصور والتماثيل، فاهتموا برسم الأشكال النباتية (التوريق) والزخرفة بالأختام، على الجلد وغير ذلك من الزخارف والرسوم.

ومن أهم المخطوطات المصورة التي وصلت إلينا مخطوط في البيطرة بخط مغربي جيد موضح بأربع رسوم مؤلفه غير مذكور. وتمثل تصاويره[19]:

1 ـ فرسا أبيض ملجما، وسائسه فاتح فمه ليفر أسنانه.

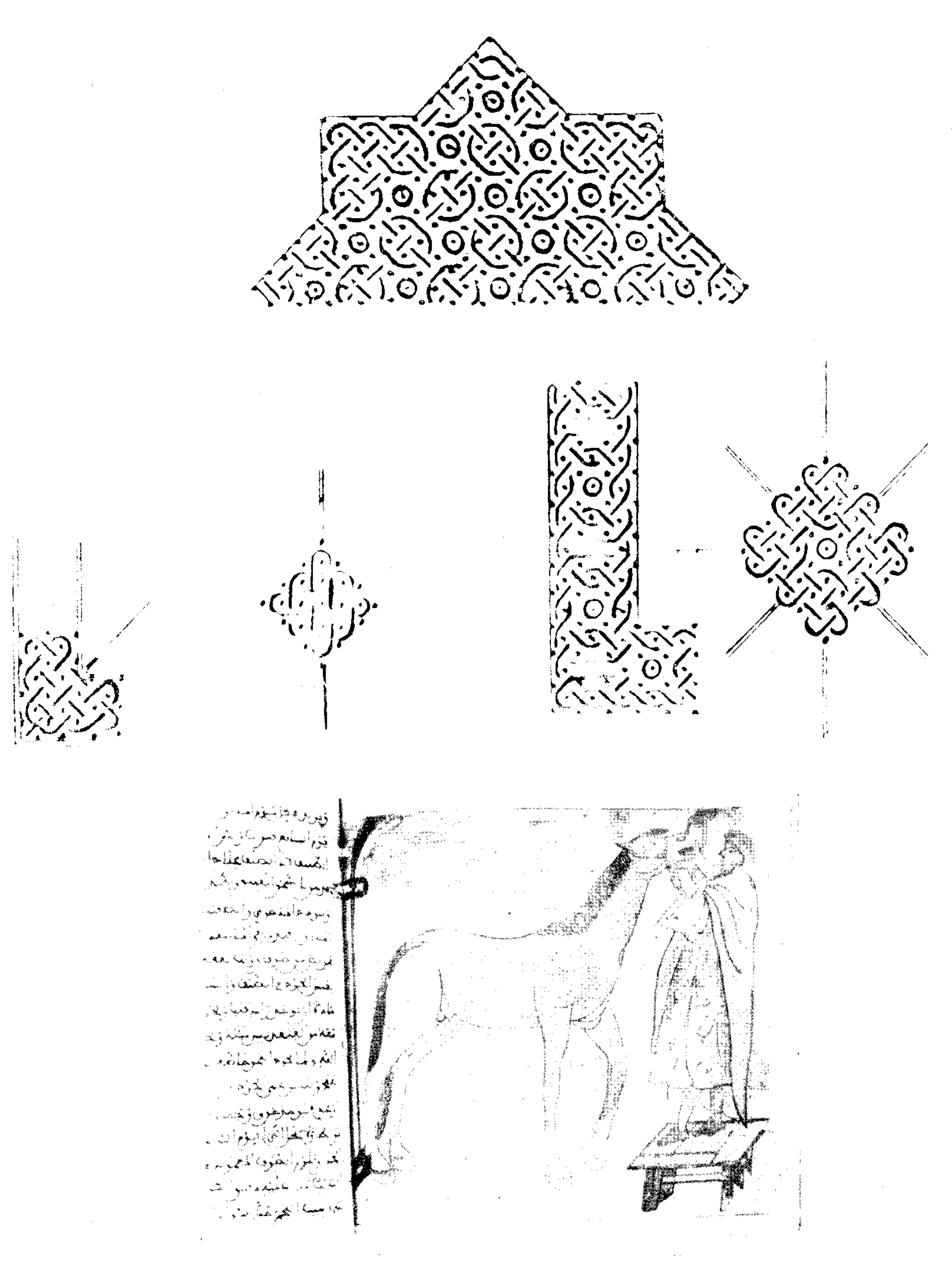
2 ـ فرسا بني اللون أبيض الأطراف مربوطا من حافره الأيمن

3 ـ حصانا به برص

4 ـ حصانا قد أنزي على حجر ورأسها في يد سائسها وهي مشكلة الأربع، وقد قبلت الفحل ولم تنفر منه[20]

(19) (منتخبات من نوادر المخطوطات) الصفحة 187 الخزانة الحسنية
(20) انظر الصورة. الصفحة 32

الأرابيسك (ARABESQUE)



مخطوط مصور في البيطرة بخط مغربي

عصـر المرينييـن

الفصل الثاني

1 ـ ضياع المصحف العثماني

2 ـ أقدم مخطوط عربي

3 ـ هدية ثلاثة مصاحف مرينية للمساجد المقدسة

4 ـ ثلاثة مسفرين مشهورين في الفترة المرينية والوطاسية

5 ـ فن التذهيب والزخرفة

6 ـ سارة الحلبية نزيلة المغرب

7 ـ ابن الحاج الفاسي

ضياع المصحف العثماني[1]

في عهد السلطان أبو الحسن المريني، وصل إليه المصحف العثماني، وكان من عادته يحمله معه في أسفاره للتبرك به، ويستصحب معه العلماء، الذين كان السلطان لا يستغني عنهم، ولما كانت سنة خمسين وسبعمائة، ركب أبو الحسن البحر من تونس، وقفل راجعا في أسطوله في إبان هيجات البحر، فغرقت مراكبه، وغرق الرجال، والعلماء، وضاعت نفائس يعز وجودها، ومن جملتها المصحف العثماني، فكان آخر العهد به.

والسلطان نفسه إنما نجا على لوح من الواح بعض السفن المتكسرة، بقي يتخبط فوقه حتى رماه الموج في أحد شواطئ مملكته[2].

ولا داعي لذكر تفاصيل هذه النكبة، والذي يهمنا من عرض هذا التاريخ هو معرفة مصير المصحف المذكور.

(1) (الاستقصا) أحمد الناصيري الصفحة 116
(2) (النبوغ المغربي) ص. 188. عبد الله كنون

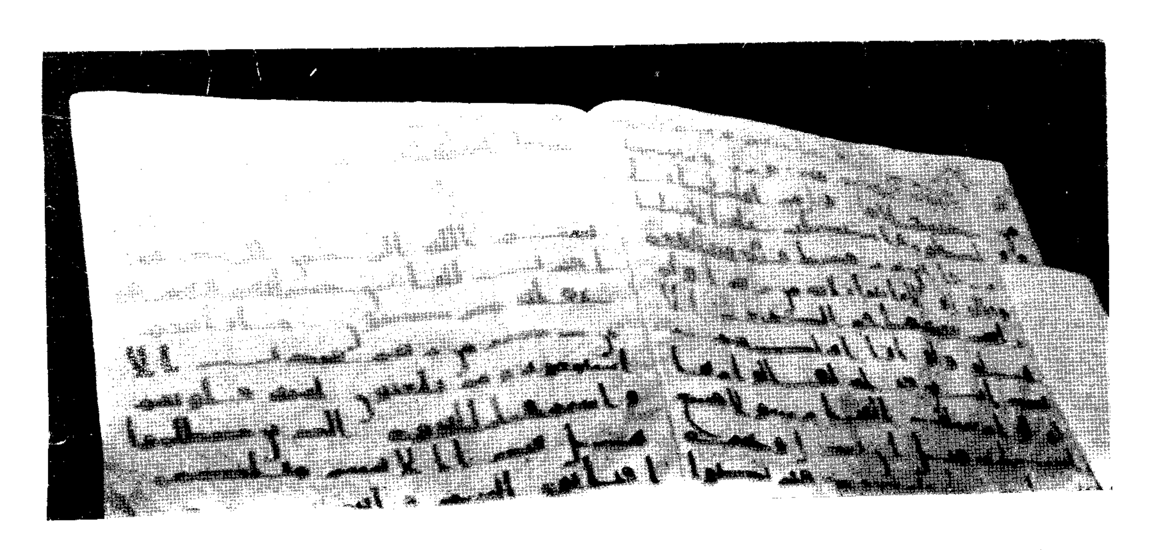
أقدم مخطوط عربي

ومن أقدم المخطوطات العربية في العالم كما ذكر المؤرخون وهي الرسائل التي أرسلها النبي محمد ﷺ إلى الحكام والملوك من أجل الدخول بالإسلام، ويليها في القدم المصحف العثماني، الذي وزع على الأمصار في القرن الأول للهجرة، لجمع المسلمين على مصحف واحد خوفا من التحريف، وخوفا من ضياع شيء منه.

وعدد هذه المصاحف التي بعثها عثمان بن عفان رضي الله عنه أربعة :

مكة، والبصرة، والكوفة، والشام.

وهناك من يقول عددها سبعة : مكة، والبصرة، والشام، والكوفة، واليمن، والبحرين، والمدينة.



هذا أحد المصاحف الأربعة أو السبعة التي بعث بها عثمان رضي الله عنه إلى الأمصار، مكتوب على رق الغزال

هدية ثلاثة مصاحف مرينية للمساجد المقدسة

كتب السلطان أبو الحسن بخط يده ثلاثة مصاحف ليوقفها على ثلاثة مساجد مقدسة، مسجد المدينة المنورة، ومسجد مكة، وبيت المقدس، فجمع لها القراء لضبطها، والخطاطين، وكل الوراقين لتنميقها والمسفرين والمذهبين لتغشيتها، وتذهيبها.

فصنع لها ظرفا من الآبنوس، والعاج، والصندل الفائق الصنعة، وغشاها بصنائع الذهب ورصعها بالجوهر والياقوت، واتخذ لها صوان من الجلد المحكم المرقوم بخطوط الذهب، ومن فوقها غلائف الحرير، والديباج، وأغشية الكتان فأخرجها في حلة فريدة من الفن المغربي البديع.

وبعثها مع الأميرة مريم زوجة والده للديار الحجازية، لأداء مناسك الحج. إضافة إلى رصد الأموال الباهضة، التي عينها لشراء الضياع بالمشرق، ليكون ريعها وقفا على القراء في المصاحف المذكورة[3].

ويقال أن هذه المصاحف مخيطة بخيوط دقيقة من الذهب والفضة.

وللإشارة أن صناعة حبر السواك كانت أيضا موجودة في هذا العصر، وممن كتب به في هذا الوقت السلطان أبو عنان المريني حيث نسخ به كتاب «الأحاديث الأربعون النبوية في رواية الخلافة العلوية» وقد ذكره الفقيه ابن مرزوق التلمساني في كتابه «المسند الصحيح الحسن بمآثر مولانا أبي الحسن».

ومن حسن الحظ أن هذا الكتاب وصل إلينا وهو محفوظ بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم د 3582 وبتسفير حديث، انظر الصفحة 42 من هذا الكتاب وكذلك بقيت صناعة الرق حتى هذا العهد، فإن القلقشندي[4] يلاحظ أن المغاربة لعهده كانوا لا يزالون يكتبون المصاحف الشريفة وكتب الأحاديث والعقود في رق الغزال.

وقد اشتهر في هذه الفترة المرينية والوطاسية ثلاثة مسفرين[5].

1 ـ أبو العباس ابن عاشر. كان ينسخ الكتب ويسفرها بيده، وربما صنع لها أغشية من جلود بيده.

---

(3) د. التازي. (التاريخ الدبلوماسي للمغرب) ج 7 ص: 210 ـ 211 ـ 212

(4) (صبح الأعشى) ج 2 ص 477

(5) هؤلاء المسفرون ذكرهم المنوني. المرجع السابق ص ـ 50 ـ 52

2 ـ أبو الحجاز يوسف بن علي بن عبد الواحد السدوري المكناسي نزيل غرناطة كان يسفر الكتب في غاية من الحسن.

3 ـ مسفّر كان يعيش في العصر الوطاسي، ويسمى بسيدي «مالك»، مع تحليته بإمام المسفرين.

وبقيت صنعة التسفير في هذه الفترة تنتج أوعية جلدية مذهبة بالتذهيب لحفظ أدوات النساخة، مثل المحبرة، والأقلام القصبية والمسطرة، وسكين البشر لإزالة الحروف وبري قلم القصب

وعلى ذكر البشر فقد نظم لسان الدين ابن الخطيب لأبي سالم المريني هاذان البيتان:

أرى سيف ابراهيم بيني وبينه ... مناسبة عند اعتبار المناسب

بشرت حروف الكتب عند التباسها ... ويبشر حداه حروف الكتب[6]

أما المداد البلدي أي المصنوع في البلد الذي زاحم فيما بعد حبر السواك، فقد كان المغاربة يصنعونه من العفصة والصمغ والزاج[7]، وطريقة استعماله نظمه بعض الصناع في هذه الصنعة بأرجوزة في تسعة أبيات:

من بعد حمد الله ذي الأنعام ... خذ وصف حبر نافع الأنام

أوقية ونصف عفصها أخضرا ... أوقيتا صمغ يكون أشقرا

كذلك رطل الماء ونصفه جرى ... والوزن بالمصرى فيما قدر

والزاج أوقية منه تكفي ... واسحق جميع ماترى في الوصف

ثم انقع العفص الذي دققته ... في ذلك الماء الذي حررته

واتركه فيه نحو أسبوعين ... حتى ترى احمراره بالعين

وصفه وألف فيه الصمغا ... واسمع لما قلت اليك واصغ

من بعد نوب الصمغ فيه جهرا ... الق عليه الزاج يأتي حرا

من غير شمس صنعه ونار ... والحمد لله اللطيف الباري

(6) (الاحاطة) لإبن الخطيب

(7) كبريت الحديد أو عقار يصنع منه المداد

وكانت أحيانا توضع مع العفصة والصمغ والزاج، خليطا من المبيدات الحشرية. وأشير إلى أن المداد البلدي المذكور أجود من الحبر الذي نستعمله اليوم، والدليل على ذلك هذه المخطوطات التي بقيت مئات السنين.

هذا وقد ورد في خاتمة المصحف الشريف المكتوب برسم خزانة المنصور الذهبي، أن كتابته كانت بالمداد المقام من فائق العنبر المتعاهد السقي بالعبير المحلول بمياه الورد والزهر[8].

(8) (تاريخ المصحف الشريف بالمغرب) محمد المنوني، مجلة دعوة الحق العدد 4 السنة 22 يونيو ـ يوليوز 1981 ص 19 ـ 20.

هو الله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم الملك
القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار
المتكبر الخالق البارئ المصور الغفار القهار الوهاب
الرزاق الفتاح العليم القابض الباسط الخافض الرافع
المعز المذل السميع البصير الحكم العدل اللطيف
الخبير الحليم العظيم الغفور الشكور العلي الكبير
الحفيظ المقيت الحسيب الجليل الكريم الرقيب المجيب
الواسع الحكيم الودود المجيد الباعث الشهيد الحق
الوكيل القوي المتين الولي الحميد المحصي المبدئ
المعيد المحيي المميت الحي القيوم الواجد الماجد
الواحد الصمد القادر المقتدر المقدم المؤخر الأول
الآخر الظاهر الباطن الوالي المتعالي البر التواب
المنتقم العفو الرؤوف مالك الملك ذو الجلال والإكرام
المقسط الجامع الغني المغني المانع الضار النافع
النور الهادي البديع الباقي الوارث الرشيد
الصبور

[illegible]

[illegible]

والحمد لله رب العالمين
والصلاة على سيدنا محمد خاتم النبيين
وعلى آله وسلم تسليما

الصفحة الأخيرة من كتاب (الأحاديث الأربعون النبوية من رواية الخلافة العلوية) بخط السلطان أبو عنان المريني
مكتوبة بحبر السواك وبماء الذهب

فن التذهيب والزخرفة

ابتكر العرب عدة أنواع في استعمال ماء الذهب للكتابة به. ويعتبر النوع المغربي من أجودها.

وقد وصفه محمد السفياني في كتابه «صناعة تسفير الكتب وحل الذهب» باسم الذهب المحلول، وأنه محلول بالماء، والعسل، والصمغ العربي، أو غراء الحوت، وورق الذهب المفروك بالفرك[9].

وقد نسخ المغاربة بعض المصاحف على رق الغزال وعلى الورق بماء الذهب وبخط مغربي جميل مزخرف. وقد تجلت براعتهم في الزخرفة بالتوريق أو التشجير.

ولم يقتصر فن التذهيب والزخرفة على المصاحف، بل معظم الكتب ذات طابع ديني.

وقد اشتهر الكثير من المغاربة في فن التذهيب والزخرفة، ومن أشهر هؤلاء المذهبين حسب سيدي محمد المنوني[10]:

يحيى بن محمد القيسي القرطبي يعرف بالاشبيلي مزخرف للكتب، وقال عنه ابن الزبير «كان من أهل الخط والتذهيب».

ابن موسى الطاهر بن الحاج عبد السلام الفاسي مذهب ومزخرف.

افيلال مفضل بن محمد بن الهاشمي الحسني العلمي التطواني «يقول عنه محمد داود تاريخ تطوان» يتقن الزخرفة ويكتب بالذهب.

جنون سليمان بن أبي بكر بن محمد بن عبد الله الفاسي خلف نمودجا من تفوقه في مهنته: في مصحف شريف من حجم صغير فهو كاتبه ومزخرفه ومذهبه، وتجاوزت الزخرفة باطن المصحف الشريف إلى جوانبه الخارجية.

---

(9) لمزيد من التفاصيل حول اسلوب استعمال ماء الذهب، انظر (السعيد بنموسى، تسفير وتذهيب الكتب وترميم المخطوطات) الطبعة الثانية. ص. 43 شركة بابل للطباعة والنشر. وطريقة أخرى استعملها المغاربة في عصر العلويين انظر ص74 من هذا الكتاب.

(10) (تاريخ الوراقة المغربية)

الحلو محمد بن الحاج محمد بن أبي بكر المريني الوطاسي ثم الفاسي، وقد كتب رسالة للسلطان مولاي حفيظ وفيها يذكر أنه هو مزخرف وثيقة البيعة الحفيظية مع استعداده لخدمة الكتب السلطانية: تذهيبا وتزويقا وتسفيرا.

وسنذكر نص هذه الرسالة في العصر العلوي.

الحلو عبد الرحمان بن عبد العزيز بن محمد المريني الوطاسي الفاسي، كان عالما بتسفير الكتب وتنزيل الذهب.

الحلو عبد العزيز بن محمد بن محمد المهدي المريني الفاسي كان ماهرا في صناعتي الزخرفة والتسفير.

العلمي محمد بن الطيب الحسني الفاسي، كان بارع في زخرفة الكتب. وأشير إلى أن فن التذهيب أو الطلاء بالذهب والكتابة به على الورق والرق لم يكن معروفا بعد عند الغربيين خاصة من الناحية المتعلقة بالزخرفة والتزيين الدقيق فقد اقتبسوه عن العرب.

أما زخرفة جلود الكتب أو غلافات الكتب الجلدية، فقد عني المسفرون المغاربة عناية فائقة بها.

وقد رأينا سابقا في عصر الموحدين كيف كانوا يزينوا أغلفة المصاحف بأشكال زخرفية على كل الجلد بحركة واحدة.

وجدير بالذكر أن هذا الفن وصل في أواخر القرن الخامس عشر إلى إيطاليا وفرنسا عن طريق المغرب والأندلس، فوضعوا غلافات مزخرفة ومذهبة محاكية للزخرفة المغربية والأندلسية والفارسية.

سارة الحلبية نزيلة المغرب[11]

استقبل المغرب أحد أديبات بلاد الشام: سارة الحلبية.... التي كانت وراقة متقنة، تكتب الخط المستحسن، وتحل مداد الذهب بصناعة رائقة فتكتب به، وكانت أديبة وشاعرة وطبيبة ماهرة وفدت من تونس على المستنصر بالله الحفصي صاحب افريقية، وانشدت بين يده قصيدة بائية طويلة تقول في أولها:

الشرق يزهو بكم والمغرب   وكذا الزمان يتيه بكم ويطرب

ثم ارتحلت إلى الأندلس فوفدت على الأمير ابن عبد الله محمد ابن الأحمر الملقب بالفقيه، فانشدت كذلك من شعرها قصيدة دالية تقول فيها في صدرها:

سما لك ملك لا يزال مجددا   وعزّاً وتأييدا ونصرا مؤبدا

ووفدت بعد ذلك على الأمير أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق أول ملوك دولة بني مرين، فأنشدته كذلك قصيدة رائية كان منها:

باليمن والسعد والتأييد والظفر   قدمت يا أخير الأملاك من مصر.

فأكرمها وخلع عليها ولم تزل في حضرته وهو الذي أحرى عليها الراتب والاحسان حتى أدركها أجلها بفاس الجديد من العاصمة العلمية.

(11) حسن حسني عبد الوهاب: (شهيرات التونسيات)، ص 74 ـ 75

ابن الحاج الفاسي

يقول ابن الحاج الفاسي رحمه الله عن صناعة التسفير في كتابه المدخل.

إن هذه الصنعة من أهم الصنائع في الدين إذ بها تصان المصاحف وكتب الأحاديث والعلوم الشرعية.

وابن الحاج الفاسي كما ترجمه المرحوم سيدي عبد الله كنون في كتابه «النبوغ المغربي» هو أبو عبد الله بن محمد العبدري الفاسي المعروف بابن الحاج، أحد جهايدة المتصوفين وأعلام السنة الراسخين سمع ببلده من جلة الشيوخ، وقدم مصر فصحب الشيخ أبا محمد بن أبي جمرة، وسمع بها وحدث، وكان عارفا بمذهب الإمام مالك، ومن أهل الزهد والخير والصلاح، واثرت فيه صحبة أهل القلوب، فصنف كتابه المدخل إلى تنمية الأعمال بتحسين النيات والتنبيه على كثير من البدع المحدثة والعوائد المنتحلة، وهو كتاب حفيل جمع فيه علما غزيرا والاهتمام بالوقوف عليه متعين، توفي رحمه الله سنة 737 هـ.

عصر السعديين

الفصل الثالث

1 ـ المصحف العقباني

2 ـ اسلوب تحويل الورق العادي إلى ورق مقوى (الكرطون)

3 ـ لوازم التسفير والتذهيب العربية، والإسلامية

4 ـ التسفير المغربي العربي والإسلامي

5 ـ تقصيص المخطوط بآلة التقصيص الخشبية

6 ـ أسلوب استعمال الترنجة

7 ـ تسفير عربي اسلامي

8 ـ أسلوب استعمال البرشمان

المصحف العقباني

بعد ضياع المصحف العثماني، ظهر في هذا العصر المصحف العقباني الكبير وهو مصحف عقبة بن نافع الفهري رضي الله عنه نسخه بالقروان من المصحف العثماني، فكان متداولا بين الملوك السعديين إلى أن انقرضت دولتهم وجاءت الدولة الشريفة العلوية، فانتقل المصحف المذكور إليها[1].

في العهد السعدي كان فن التسفير العربي الإسلامي متطورا للغاية بالمقارنة مع التسفير الأوربي.

من ناحية التزيينات والتقنية حيث أثار هذا الفن إعجاب الحرفيين الأوربيين، كالبرشمان للتزيين الذي كان المغاربة يخيطونه على رؤوس الكراريس وينسجونه بالحرير الملون، وفن تركيب الترنجة في وسط الغلاف الجلدي، والزخرفة بالذهب.

سنأتي على ذكر كل هذه التزيينات الدقيقة بعد في هذا الكتاب.

أما من الناحية التقنية، كاستعمال دفف الكتاب بالكرطون الخفيف الذي ابتكره المسلمون عوضا عن ألواح الخشب الثقيلة الوزن التي كانت تستعمل في التسفير البدائي.

فقد كانوا يحولون الورق العادي إلى ورق مقوى (الكرطون) وفي الحقيقة فقد ترك هذا الأسلوب أثرا كبيرا لدى المسفرين الأوربيين في هذا العصر.

ونرى جميعا أسلوب استعماله[2]:

«وذلك بأن تأخذ الكاغيط وتدهن الورقة منه بالنشا وتتركها عن يمينك وتدهن ورقة ثانية أعني التي تقابلها وتنزل الوجه المدهون من الورقة على الوجه المدهون من الورقة الثانية وتحط عليها بكفيك وتقلبها للوجه الأسفل على الأعلا وتنظر هل فيه شيء من الرخوة فتمدد وتبسطه بكفيك حتى يمتد غاية امتداده ولا يبقى في

---

(1) (الاستقصا) احمد الناصري الصفحة 115.

(2) محمد السفياني (صناعة تسفير الكتب وحل الذهب) طبعه بالمطبعة الشرقية بباريس سنة 1925 م الأستاذ ريكار مدير متحف الآثار بفاس سابقا.

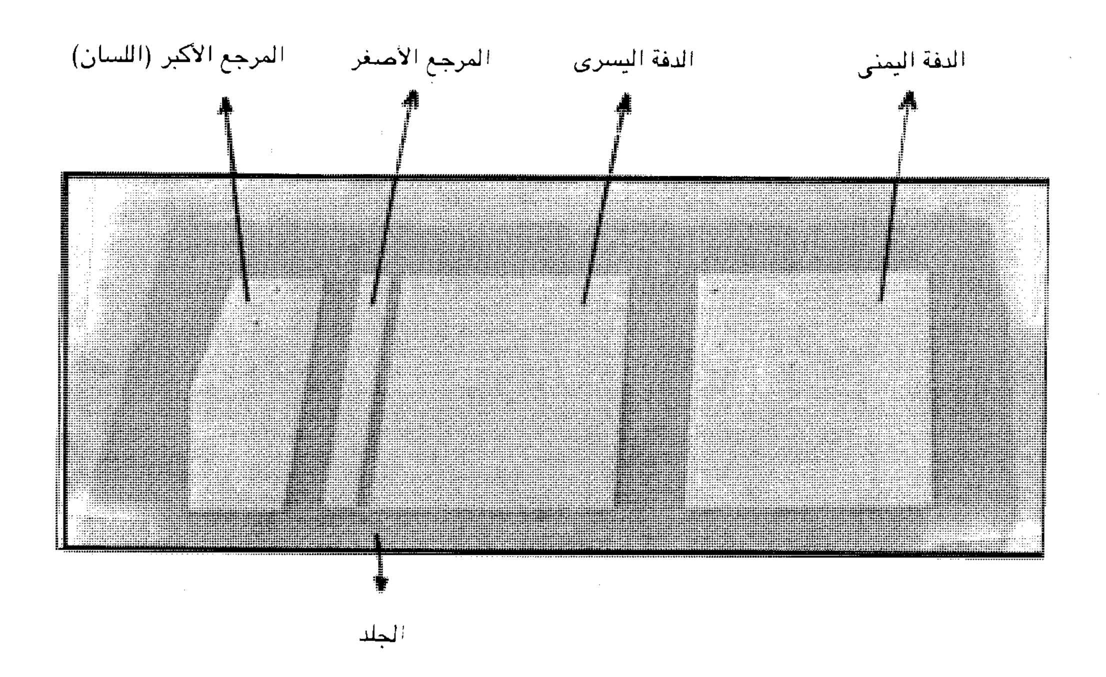
الوجهين كماش ولا رخو فحينئذ تنزل الورقتين الملصقتين بعضها ببعض وتأخذ ورقتين آخريين وتعمل فيهما كيف عملت في الورقتين اللتين قبلهما حتى تلتقي الأوراق كلها ثنتين ثنتين وانشرهم في مكان حار نشرا على الأرض التي ليس فيها تراب ليلا يلصق على الأوراق المدهونين فيحرش لبسك الألواح حتى ييسوا فخذهم واقسمهم على عدة الألواح التي تعمل منهم وانظر كم يصلح من عدة الأوراق التي تصنع منهن الدفة فإذا أردت أن ترققها فانقص ما تريد من عدة الأوراق وإذا أردت أن تضخمها فزد ما تريد على قدر نظرك فبعد ذلك خذ ما جمعت من الأوراق في كل دفة وحدها وذلك بأن تأخذ مثلا خمسة أوراق أو ستة أو سبعة على حسب ما تريد واجعلهم حولك فخذ الورقة الأولى وابسطها على لوح من عود أو رخام وادهنها بالنشا وانزلها عن يمينك وادهن الثانية وانزلها بازائها وادهن الثالثة والرابعة إلى آخرها وكلما تدهن تتركها بازاء التي قبلها فبعد ذلك تأخذ الأولى وتبسطها على اللوح المذكور من الرخام أعني الذي دهنت عليه الأوراق فإذا بسطتها على اللوح خذ الورقة التي بازائها اعني المدهونة قبل فنزل الورقة على الأخرى اعني الوجه المدهون بالنشا على الوجه المدهون وتحطها بكفيك وبعد ذلك تدهن الوجه الأعلى الناشف بالنشا أيضا وتأخذ الورقة الثالثة المدهونة قبل وتنزل منها الوجه المدهون على المدهون وتمحطهم وتدهن أيضا الوجه اليابس وتنزل عليه الورقة الرابعة بعد تنشيتها هكذا إلى الورقة الأخيرة فإذا محطتها فخذ ورقة من الأوراق اليابسين وتجعلها على الورقة الأخيرة من الجهة اليابسة وادلك على الورقة اليابسة دلكا عتيفا بلوحة غليظة مثل قالب التسهيل مثلا وتكون مكسورة القرون تدلك بحرفها حتى يخرج النشا الزايد بين الأوراق الملتصقتين فحينئذ ترفعها وتنزلها على موضعها مواط كلوح أو كاغط وما اشبه ذلك وتعمل دفة أخرى وتنزلها عليها حتى تقضي ما شئت من عمل الدف فحينئذ تأخذ ما عملت من عمل الدف وتنزلهم بين لوحين غليظين من العود الصافي لضغط التخت بعد أن تعمل بين كل دفتين ورقتين من الكاغط الذي يكون قالبه يفيض على الدفتين يمينا وشمالا وفوقا واسفلا وشد على جملة الدف بالتخت قويا حتى ترى الماء يبرز من النشا الذي الصقت به الورق واتركهم في التخت نحو نصف يوم أو يوما كاملا وافرقهم من بين الألواح وانزع عنهم الكاغط الذي عملت بينهم فإنك تجدهم كما تحب وتشتهي فحينئذ تنشرهم في موضع حار الهوي بغير شمس لأن الشمس تفسد العمل واتركهم ليلة حتى يصبح وعند الصباح توقفهم على طرفهم مع الحائط فإنهم إذا ييسوا يأتون

في غاية الحسن ولاسيما ان كان الكاغط جيدا صحيحا ليس فيه تنقيع من ماء أو برودة أو بات فيه عفن فإذا لم يكن فيه تعفن يحمل الدلك بعد كسوة الجلد عليه حتى يرى فيه الوجه مثل ما يرى في مرآت الزجاج».

وأشير إلى أن هذه الأوراق التي كان يصنع بها الدفف غالبا ما تكون مكتوبة.

وهنا أنصح كل من وجدها داخل غلاف المخطوط الجلدي، بأن يحافظ عليها ليحققها محققي كتب التراث، لأنها غالبا ما تكون هذه الكتابة تتضمن فوائد علمية أو أدبية منقولة أو مبتكرة أو معلومات تاريخية أو جغرافية أو غير ذلك.

وسنأتي على ذكر هذه الأوراق المكتوبة في صفحة ترميم المخطوط، وعلاجه وصيانته بالطريقة الاسبانية.



لوازم التسفير والتذهيب العربية والإسلامية

1) تخت (مكبس)

آلة التقصيص الخشبية

مقراض (حديدة قاطعة الدفف)

حجرة القوصري لصقل التقصيص

حجرة ملسا: صبرة للضرب، يضرب عليها الكراريس بمنجم لتتلين

مطرقة

أشفة (متقب)

عود من صناعة الخراط لدلك الجلد

الخفيف

محارة لدلك الجلد

ضابط أو دابد (البيكار)

مسطرة

شفرة

مفرط لقطع الجلد والورق

منجم: يضرب به الكراريس حتى يسكن الكتاب ويتلين كاغيطه، وهو من الخشب، تقيل الوزن

قرطبون

قاس

2) لوازم الخياطة:

قالب لإلصاق الأوراق بعضها إلى بعض وخياطتها (مرمة)

ابرة

خيط

3) لوازم التذهيب:

ورق الذهب

مجمر

مخط: (آلة لرسم وتخطيط فوق الجلد)

المرسم: آلة الزخرفة شبه مسمار

المرسم: آلة رسم النقط

4) الغراء

غراء الحوت (أصله مستعمل من عراقب البقر يطبخونه)

غراء شامي

نشا: الغراء التّخين (الثقيل)

عراقب

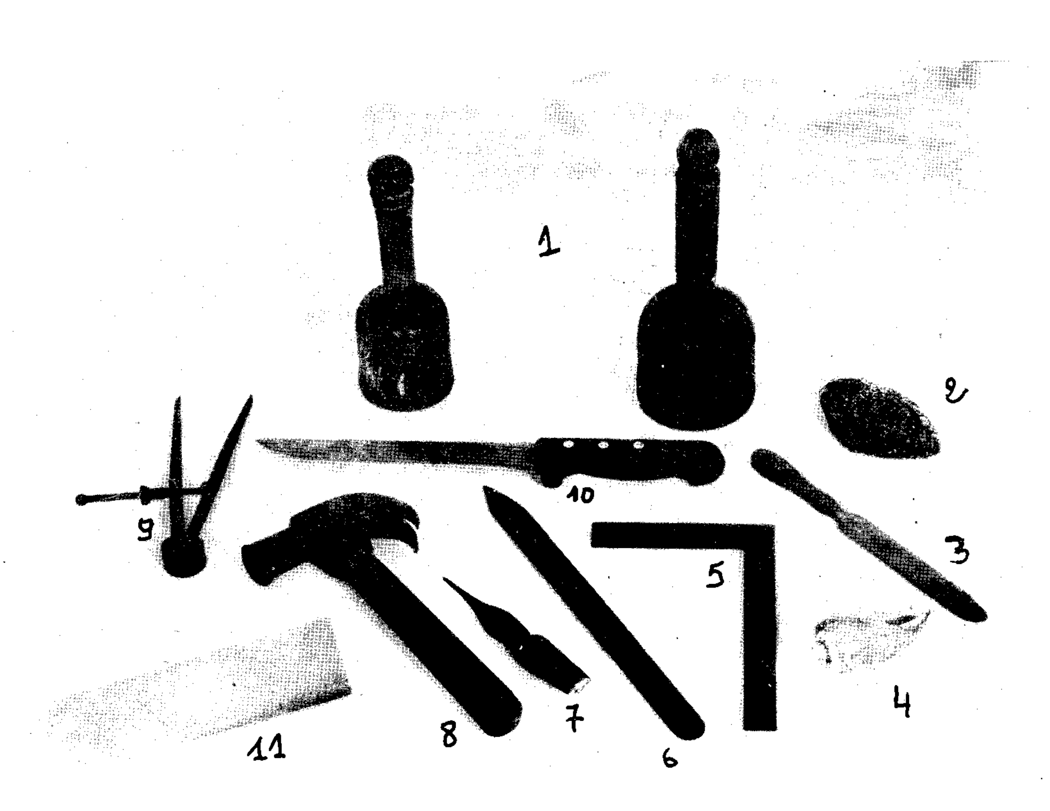
الصمغ العربي

5) الجلد:

جلد المعز: السّختيان

جلد الخروف: (البطانة)

أدوات التسفير التقليدية



1. الخفيف، 2. حجر القوصري لصقل التقصيص، 3. عود من صناعة الخراط لدلك الجلد،
4. محارة لدلك الجلد، 5. قرطبون، 6. مقراض أو مفرط (حديدة قاطعة الدفف)،
7. اسفة (متقب)، 8. مطرقة، 9. ضابط أو دابد (البيكار)، 10. سكين، 11. مسطرة.

التسفير المغربي، العربي والإسلامي

في هذا العصر كان المسفر أول ما يبتدئ به هو صناعة دفف الكتاب، وقد رأينا طريقة صنعه[3]، ثم يبتدئ بجمع كراريس المخطوط ويلفها في رق، ثم يجعلها على حجرة ملساء ويضرب على الرق بمنجم تقيل حتى يسكن الكتاب ويتلين ورقه وينضم بعضه ببعض بقوة الضرب.

بعد ذلك يرسم خطين بالمداد في رأس الكتاب وذيله، أي في موضع تحزيم الكتاب (العقدة الأخيرة)، ثم يجمع كراريس الكتاب في القالب، ويبدأ بخياطتها أي يدخل الإبرة بالخيط الرقيق في الكراريس وفي النقطة المرسومة بالمداد.

بعد الخياطة، يضرب الكتاب بمطرقة فوق الرخامة خاصة إذا كانت الكراريس كثيرة وظهر غلظ في موضع الخيط.

تم يمسكه بالتخت (الزيار) ويذهن قفا الكتاب (الظهر) بالنشا.

بعد ذلك (ينفس) التخت برفق عن الكتاب أي يفتحه قليلا ويلصق جناحين الجلد اللين بجنب الكتاب، ثم يضغط على التخت جيدا.

بعد ذلك يأخذ ثلاثة أوراق ويدهنهم بالنشا ويجعلهم على قفا الكتاب، ويتركه يوما وليلة حتى يجف.

ثم يخرج الكتاب من التخت ويفصل دفتين، أي يحدق أطرافها بالمقراض (حديدة قاطعة) حتى يقطعها مستوية على الكتاب، ويلصقها على الجناحين، أي يضع نقط من النشا على كل جناح، ويجعل عليها الدفة، وكذلك يفعل بالدفة الثانية ويجعل الكتاب بدفته في التخت، ثم يتركه حتى يجف النشا الذي ألصق به الدفة اليمنى واليسرى على الجناحين.

فإذا جف يفك الكتاب من التخت، ويرسم فوق الدفة بالذابد (البيكار) أو القرطبون من ثلاثة نواحي، ويقصص الكتاب والدفف بآلة التقصيص الخشبية، ثم يصقل التقصيص بحجر القوصري حتى يذهب أثر قطع الحديد.

---

(3) انظر الصفحة 51 من هذا الكتاب

ويفصل المرجع الأصغر والأكبر (اللسان)[4].

بعد ذلك يجعل الترنجة في وسط الدفة إذا كانت طريقة التسفير مشرقية[5] فيحفر بالمفرط الدفة ويقس الترنجة على الحفر.

بعد تجليد الدفة الأولى بالجلد، ينزل الترنجة على الحفر من فوق الجلد، ويضرب على الترنجة بمطرقة صغيرة ضربا خفيفا حتى يعلو النقش.

ثم يعطف أطراف الجلد على أطراف الدفة، ويعمل في الدفة الثانية ماعمله في الدفة الأولى، وينزل إزاءها المرجع الأصغر والأكبر (اللسان) بعد طليه بالنشا ثم يدلكه بمحارة، أو بعود من صناعة الخراط، ويضرب الترنجة مرة أخرى خاصة إذا خرجت عن الحفر بقوة الدلك، فإنها ترجع إلى طريقها.

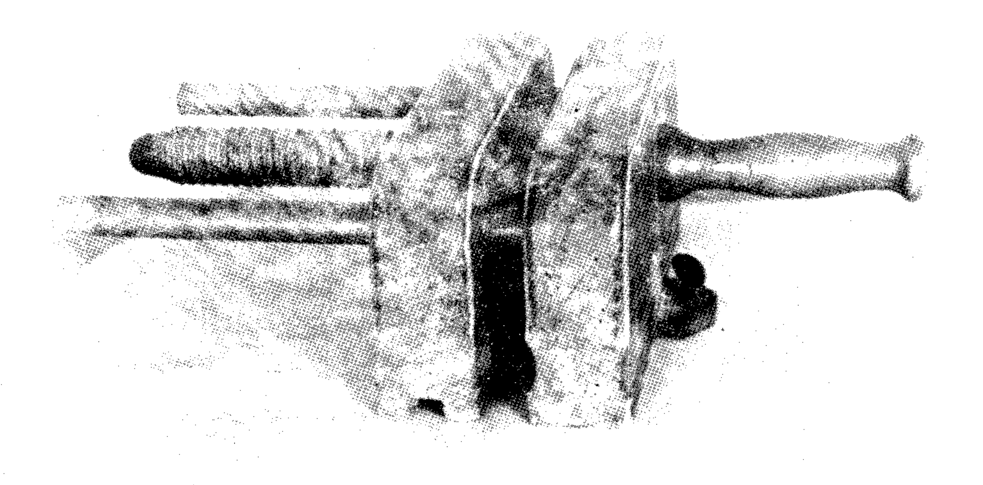
ويتركها حتى تجف، ثم يستغل بنسج البرشمان[6].

وبعد تمام التسفير يبطنه سواء بالجلد أو بالورق.

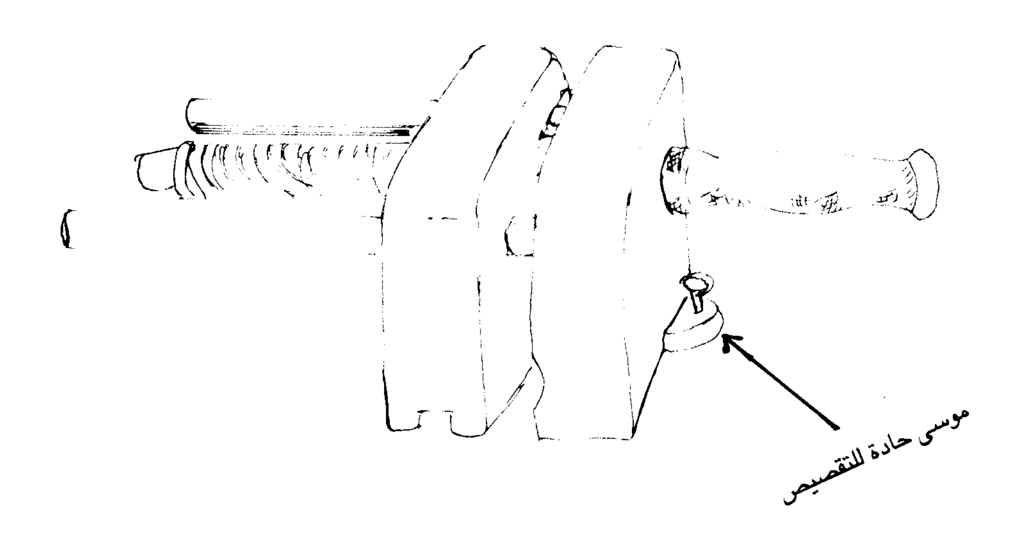
ثم يذهب ويزخرف الغلاف الجلدي بأدوات التذهيب العربية والاسلامية بعد تسخينها في المجمر.

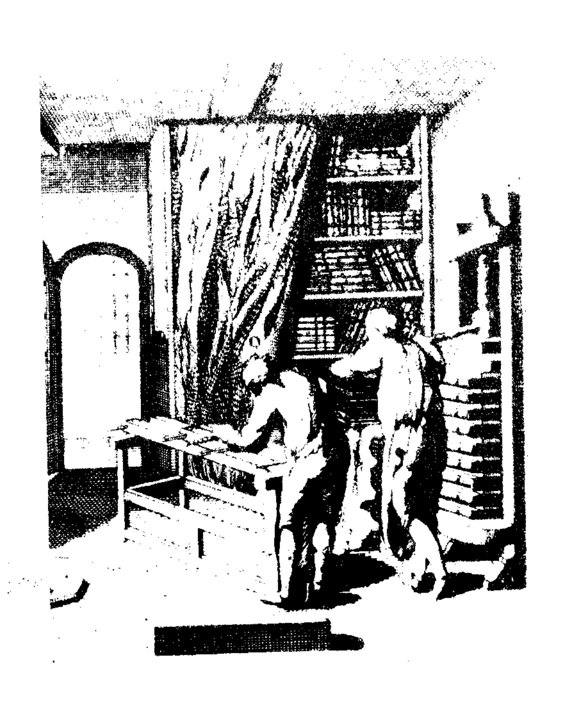
---

(4) انظر الصورة الصفحة 53 من هذا الكتاب.
(5) انظر الصفحة 62 التسفير الشرقي، أي بالترنجة
(6) انظر اسلوب استعماله الصفحة 64

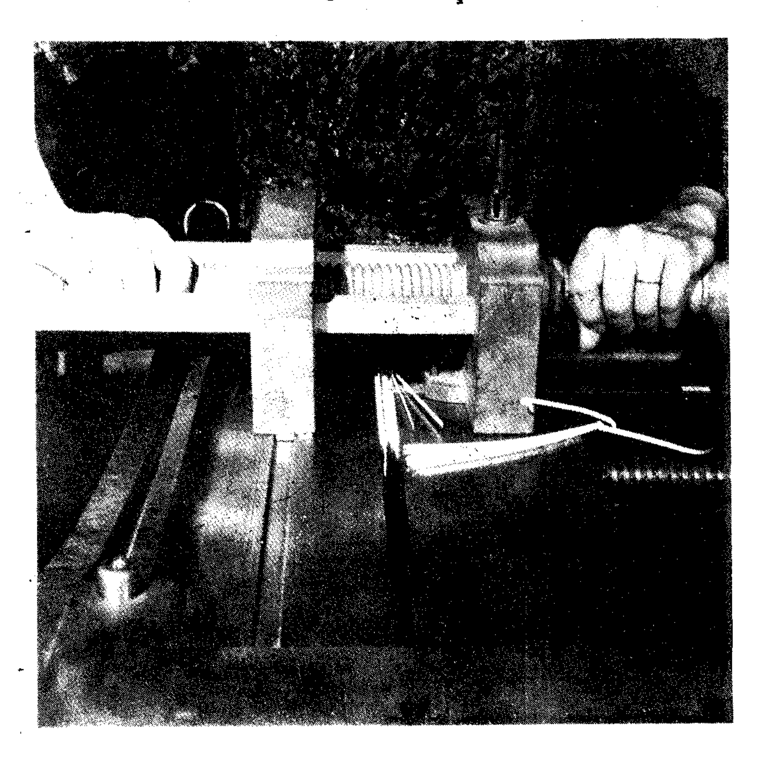


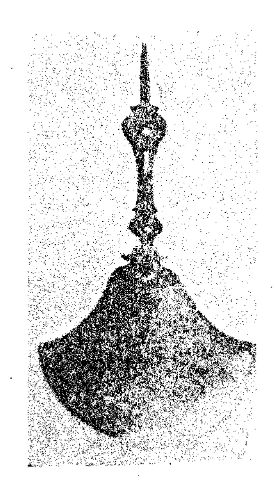
آلة التقصيص الخشبية



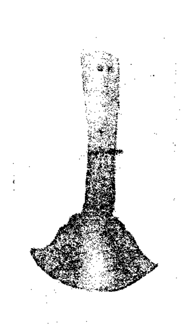


يوضع المخطوط في التخت (الزيار) ويقصص بآلة التقصيص الخشبية
التي بتحتها موسى حادة

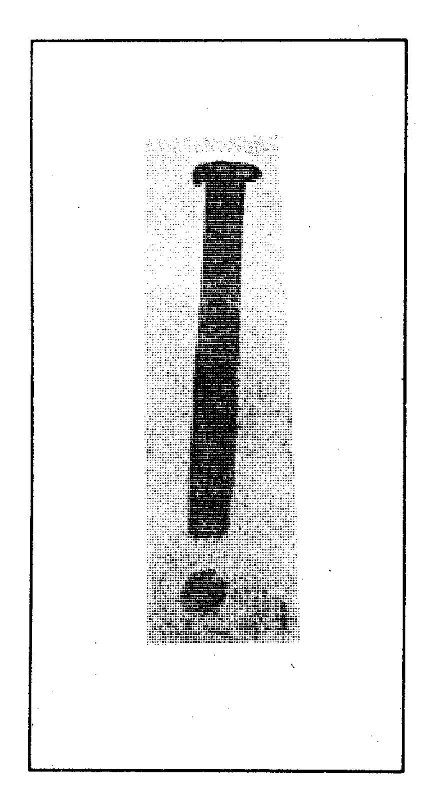




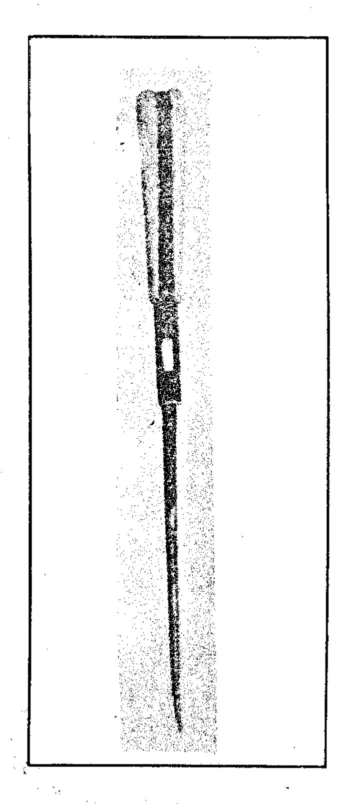
مخط



آلة لرسم وتخطيط فوق الجلد



آلة الزخرفة في شكل مسمار تدق باليد على الجلد



الة رسم النقط المذهبة (المرسم)

اسلوب استعمال الترنجة

استخدم المغاربة أسلوب آخر في تزيين الكتاب، ألا وهو فن تركيب الترنجة.

والترنجة وهو جلد شبه إطار صغير يلصقونه في وسط الغلاف الجلدي، ويكون مزوق ومخرم تخريما خاصا بالذهب، وغالبا ما يكون بالجلد الأحمر، أو الأخضر، وهذا النوع شرقي مقتبس من التسفير الفارسي القديم، يرجع عهده إلى القرن الميلادي السادس عشر[7].

وهناك أسلوب آخر في تزيين غلاف الكتاب. وهو رسم رسوم في شكل أركان أو نباتات (توريق) على الجلد، ثم تقطع هذه الرسوم وتلصق فوق غلاف المجلد بالجلد.

وهذه العمليات تحتاج إلى غاية الدقة والمهارة

وطريقة استعمالها[8]:

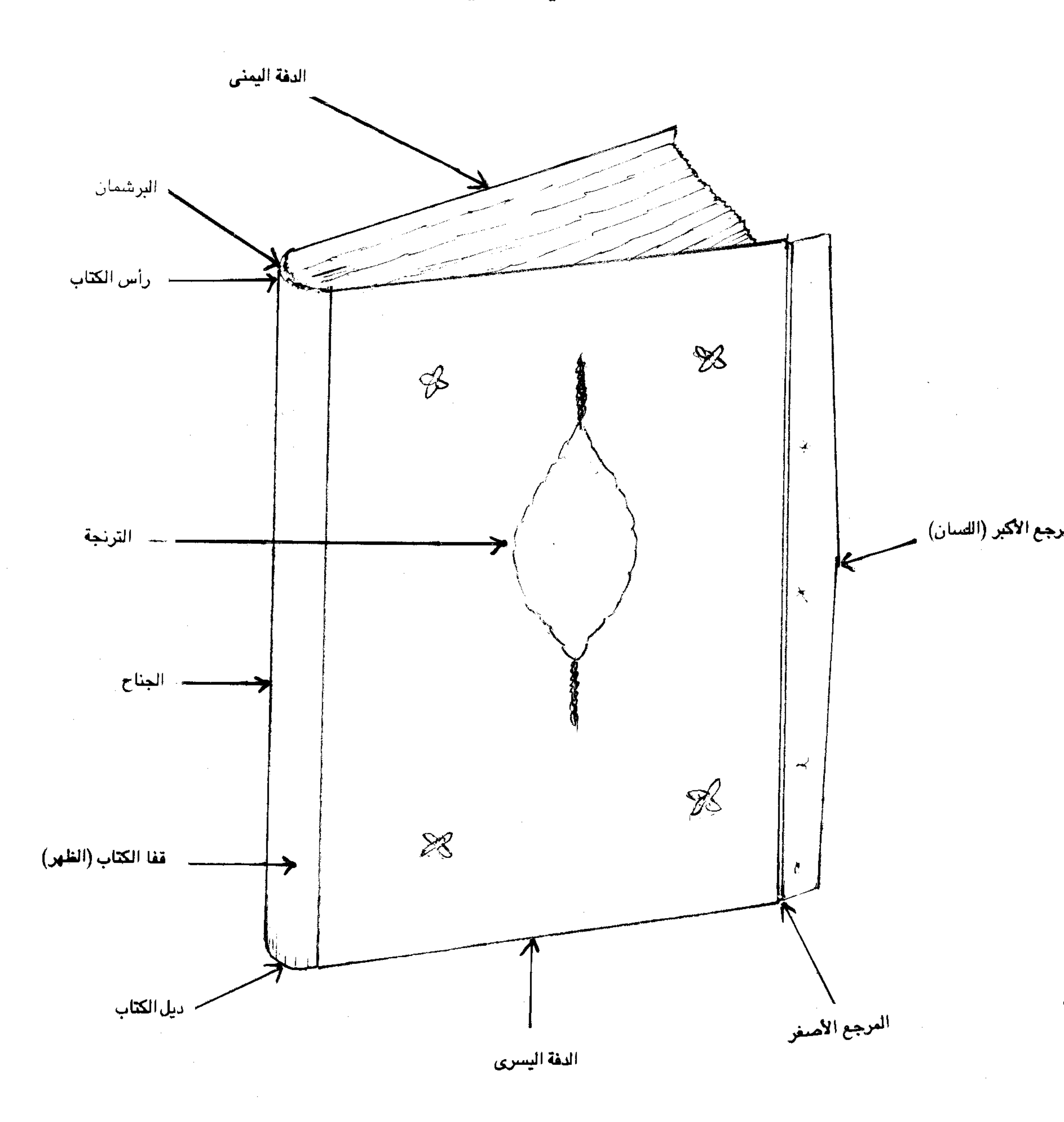
«وذلك بأن تأخذ الجلد المقشر وتطليه بالغراء الشديد من وجهين وتلصق عليه جلدين بلا مقشرين مدهونين بالغراء من ناحية السفلى وتتركه حتى ييبس وتلصق ورقة من الكاغيط مرشومة بالمداد وفيها من الصنعة ما تريد وصفه ورشمه وذلك بأن تأخذ ورقة من الكاغيط الرقيق وتريقها بريقك واتركها حتى تشرب الريق وتجف قليلا وتنزلها على أي رسم تريد رسمه من ترنجة أو ركن نوارة وتوريق أو غير ذلك من المرسومين في الكتاب واضبط عليه بابهامك واصبعك فإنه يقطع فيه الرشم فارفعه واتركه حتى ييبس واتبعه بالقلم والمداد حتى تظهر لك الصنعة فإذا الصقتها على الجلد المتقدم ذكره وييبست فاتبع الرسم فالحفر على الصفة المرسومة بمبزق مثل مبزق الفصادة فإذا انحفر فاضرب على الجلد المبلول يرسم فيه ما رسمت في الصنعة وإذا ظهر لك في الصنعة نقص فكمله وقس أيضا في جلد آخر حتى يعجبك العمل».

---

(7) انظر السعيد بنموسى (تسفير وتذهيب الكتب وترميم المخطوطات)، الطبعة الثانية ص 48 شركة بابل للطباعة والنشر

(8) محمد السفياني المرجع السابق.

تسفير عربي إسلامي



اسلوب استعمال البرشمان

استخدم المغاربة طريقة للتزيين لعلهم ابتكروها، ألا وهي استعمال البرشمان على رأس الكتاب وذيله، حيث كانوا ينسجونه بالحرير الملون.

ودليل على ابتكارهم لهذا الأسلوب، هو أنهم كانوا ولا زالوا يستعملونه في الزي المغربي التقليدي، كالقفطان، والجلابة وغير ذلك.

ثم أضافوه فيما بعد في الكتب لتزيينها، وخاصة كتاب الله المقدس الذي يحتل مكانة خاصة عندهم، وعند جميع المسلمين.

وليس هناك شك في أن البرشمان يكسب مظهر الكتاب جمالا وروعة. وطريقة استعماله[9]:

«وذلك بأن يكون عندك صمغ عربي محلول بالماء مثل العسل خاثرا فاجعل منه شيئا على رؤوس الكراريس في طرف التقصيص تحت السير الذي تنسج عليه البرشمان بحيث أنك تصنع عليه السير والسير نفسه يكون من جلد مدبوغ قد طلى بالصمغ العربي قبل ذلك حتى ييبس وسرت تأخذ منه السير إذا احتجته للبرشمان فإذا يبس الصمغ الذي جعلته على رأس الكتاب فريقه بريقك وريق السير وانزله على الموضع الذي فيه الصمغ العربي فإنهما يلتصقان معا بالتغرية وادخل الإبرة بالخيط وسط الكراريس الأيمن بعد أن تنشب طرف الخيط في أصل الكتاب من ناحية القفا في الموضع الذي يخرج منه رأس الابرة إذا ادخلتها في وسط الكراس الأخير وسر كذلك بالخياطة في الكراس إلى أن تنتهي إلى الكراس الآخر واعقد الخيط في الضربة الأخيرة عقدا محكما فإن الخياطة تلزم لزما صحيحا وكمل ما بقي بالنسج بالحرير الملون حتى يكمل عمل البرشمان من الجهتين وبعد ذلك ركب التسفير على الكتاب بعد تغريته بالنشا وشد على القفا بخيط وثيق واجعل الكتاب بين لوحين غليظين كما تقدم قبل واقرص عليهما بالتخت واتركه بين اللوحين يعقد وييبس فانك تجده يخرج قواما كما تحب».

---

(9) (محمد السفياني) المرجع السابق

عصر العلويين

الفصل الرابع

1 - هدية المصحف العقباني للحرم النبوي من السلطان المولى عبد الله بن اسماعيل

2 - علماء مسفرون ومرممون للمخطوطات

3 - ترميم جميع المخطوطات العتيقة التي بالقرويين في عهد عبد الرحمان بن هشام

4 - رسالة من السلطان المولى الحسن الأول إلى القاضي محمد العلوي المدغري والقاضي حميد بناني حول صيانة وترميم المخطوطات التي بالقرويين

5 - أسلوب استعمال ماء الذهب

6 - نماذج من بعض التسافير والزخارف المغربية

7 - رسالة إلى السلطان مولاي حفيظ، من محمد بن الحاج محمد بن أبي بكر لحلو.

8 - التسفير في عهد العاهلين: السلطان مولاي يوسف والملك محمد الخامس

9 - التسفير في عصر جلالة الملك الحسن الثاني

10 - ترميم جميع مخطوطات القرويين بطريقة علمية

11 - المصحف الحسني.

12- من الخطاب الملكي السامي بمناسبة افتتاح المعرض الدولي الثالث للصناعة التقليدية.

هدية المصحف العقباني للحرم النبوي[1]

انتقل المصحف العقباني إلى الدولة العلوية الشريفة، وتداولته ملوكها إلى أن جاء السلطان المولى عبد الله بن اسماعيل رحمه الله، فبادر بإصدار أمره بتسفير ثلاثة وعشرين مصحف بين كبير وصغير، ومن جملتها المصحف الكبير العقباني فسفرت كلها محلاة بالذهب والياقوت، ثم بعثها هدية للحرم النبوي.

علماء مسفرون

في هذا العصر بعض العلماء كانت لهم معرفة بتسفير الكتب مثل الروداني السوسي الذي يقول عنه سيدي عبد الله كنون[2] هو «أبو عبد الله محمد بن سليمان الروداني السوسي، العلامة الجامع الفيلسوف الفلكي البارع. ولد بتارودانت سنة 1037 وبها نشأ. وحين بلغ سن الرشد تاقت نفسه للتعليم فخرج وقرأ بدرعة، ثم رحل إلى سجلماسة ومراكش فأتقن طرفا من علم الحكمة والهيئة والمنطق إلا أنه لم يقض وطره من ذلك، فرحل لفاس بقصد تتميم الدراسة، ثم سار إلى الجزائر فأخذ بها عن شيوخها وحج وجاور بالمدينة المنورة وأخذ عن علماء مصر والشام، فامتلأ وطابه من المعارف، وأصبح كما يقول المحبي في الخلاصة فرد الدنيا في العلوم، المالك للمجهول منها والمعلوم وكانت له يد صناع في كثير من الحرف والصنائع، كالتسفير والطرز العجيب والصياغة وجبر قوارير الزجاج المكسرة وعمل الأسطرلاب، وابتدع آلة نافعة في علم التوقيت والهيئة لم يسبق إليها، وهي كرة مستديرة الشكل منعمة الصقل مدهونة بالبياض المموه يدهن الكتان يحسبها الناظر بيضة من عسجد لاشراقها مسطرة كلها دوائر ورسوم، قد ركبت عليها أخرى مجوفة منقسمة نصفين، فيها تخاريم وتجاويف لدوائر البروج

(1) انظر (الاستقصا) المرجع السابق

(2) (النبوغ المغربي)

وغيرها، مستديرة كالتي تحتها مصقولة مصبوغة بلون أخضر، فيكون لها ولما يبدو من التي تحتها منظر رائق وهي تغني عن آلة في فن التوقيت والهيئة، مع سهولتها لكون الأشياء فيها محسوسة والدوائر المتوهمة مشاهدة وتخدم لسائر البلاد على اختلاف أعراضها وأطوالها، وقد ألف هو رسالة بين فيها كيفية استعمالها وكيفية صنعها فراجعها إن شئت في الرحلة العياشية.

وبالجملة فهو أحد حكام الاسلام وجهابذة الأعلام، وبقدر ما كان متضلعا في العلوم الحكمية كان متمكنا في علوم الأدب والشريعة، وألف كتبا مفيدة منها منظومة في علم الميقات خالف فيها كثيرا من مذاهب أهل هذا العلم وشرحها، ومنها صلة السلف بموصول الخلف وهو فهرس جامع قل أن يكون له نظير وتوفي بالشام عام 1095».

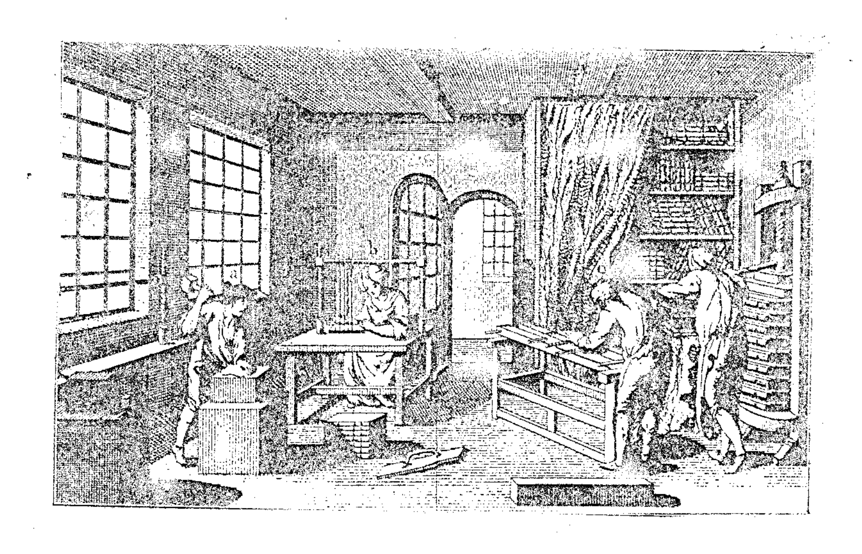
الحاج التهامي بن علي البطاوري

حسب محمد دينية مجالس الانبساط ـ عالم له معرفة بتسفير الكتب. ويذكر عنه المؤرخ محمد بوجندار في كتابه الاغتباط بتراجم أعلام الرباط(3):

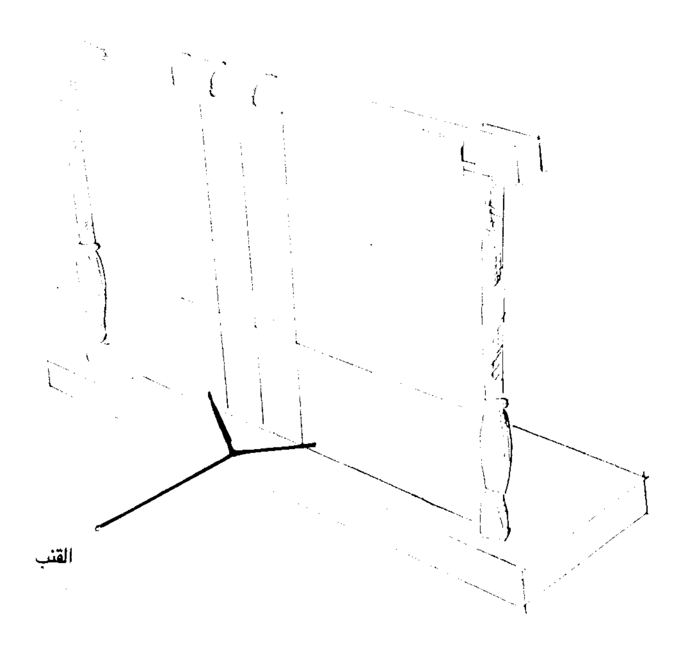
«عالم وجيه وموثق ضابط واستاذ حيسوبي ومدرس فرش ترجمه صهر، قاضي الرباط المرحوم السيد أحمد بناني يذكر نسبه في كناشة وقد تقدم ذلك في ترجمة أخيه عبد الله البطاوري وذكر شيخنا القاضي أبو حامد أنه كان من المدرسين قرأ عليه كثير من المتون العلمية ولم ادركه بتعاطس التدريس وإنما ادركت تعاطيه للشهادة وعاينت ملازمته للمسجد الأعظم في الأوقات الخمس خصوصا الأوقات الليلية وكان رحمه الله نموذج الفضل وعنوانه ومثال الكمال والوقار والريانة والحجر والصرامة والرزانة. ولم تزل حاله هي حاله إلى أن ادنت خمسه بالمغيب فدعاه داعي الفلاح الحج بين الله الحرام فتوجه لتلك البقاع المقدسة وفي وجهته هذه بعدما حج وزار توفي بطنجة عند قفوله عام خمسة وعشرين وثلاثمائة وألف».

---

(3) مخطوط محفوظ بقاعة ابراهيم الكتاني تحت رقم 1287 د (الخزانة العامة بالرباط)



صورة لمعمل تسفير الكتب وأربع مسفرين عرب، بعمائمهم وملابسهم التقليدية



مرمة لخياطة الكراريس

علماء يرممون المخطوطات المتلاشية أوراقها[4]

إلى جانب المسفرين كان في هذا العصر أحد أعلام فاس يرمم المخطوطات وهو: ابن ابراهيم محمد بن محمد الخياط بن أبي القاسم الدكالي المشترائي ثم الفاسي ت 1770/1184، فمن بين مخطوطاته رحله «تاج المفرق» للبلوي، توجد نسخة قديمة تلاشت أوراقها، وقد أصلحها ورممها الوراق المنوه به وذيلها بهذه الفقرة بخطه : «انتهى إصلاح هذه النسخة بعد تلاشيها واشرافها على التلف، ضخوة العشرين لشعبان المبارك، عام ثلاثة وستين ومائة وألف، على يد عبد ربه... محمد بن محمد الخياط بن ابراهيم، الدكالي محندا، الفاسي منشئا ومولدا».

أجانا: ادريس بن التهامي المكناسي عالم يحترف تسفير الكتب وإصلاح المبتور منها.

تسفير وترميم جميع المخطوطات العتيقة التي بالقرويين

وفي عهد عبد الرحمان بن هشام أمر بترميم وتسفير جميع المخطوطات العتيقة التي بخزانة القرويين حينما لاحظ علامات الاندثار تبدو عليها.

رسالة من السلطان المولى الحسن الأول

وفي آخر أيام السلطان المولى الحسن الأول أرسل رسالة إلى القاضي سيدي محمد بن محمد العلوي المدغري، والقاضي السيد حميد بناني حول خزانة الكتب بالقرويين يشير فيها إلى ما كانت عليه من الضبط والصيانة والمقابلة وكيف استحال أمرها إلى ضياع وتفريط بسبب اهمالها وعدم الاهتمام بشأنها ويؤكد المولى الحسن الأول في رسالته الثانية أن ترجع الكتب كلها لمحلها.

وهذه هي *الرسالة الأولى*:

الحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما ابن عمنا الأرضى الفقيه القاضي سيدي محمد بن محمد العلوي المدغري، والفقيه الأرضى القاضي السيد حميد بناني، أعانكما الله، وسلام عليكم ورحمة الله وبعد.

---

(4) المنوني، المرجع السابق

فلا يخفى ما كانت عليه خزانة الكتب التي بالقرويين من الضبط والصيانة والمقابلة والتعاهد، وقد بلغ علمنا الشريف أن أمرها الان استحال إلى ضياع وتفريط، بسبب اهمالها وعدم الإهتمام بشأنها، ولأجله تعين ايقاظكم وتنبيهكم وحضكم على رد البال إليها، واجراء العمل فيها على ما سنقرره لكم من الضوابط والفصول، حتى تعود بحول الله إلى حالتها الأولى، وترجع إلى ما كانت عليه من الصيانة وما أسسه السلف الصالح فيها إن شاء الله.

فنأمركم أن تحضروا مع النظار وأربعة من العدول والقيمين عليها، لتصفح كناشها الأصلي وزمامات المستعيرين للكتب منها، ثم ما وجد لازال عندهم يستخرج منهم ويرد لمحله، ومن كان مات منهم يحاز من ورثته، وما وجد خاصا وخارجا عن زمامات العارية ولم يعرف عند من هو، يواخذ به المكلفون وقت خروجه من الخزانة، وهم النظار والقيمون ويغرمونه بنظيره لتفريطهم، ومن وجده الحال مات من أولئك المكلفين يلزم ورثته الغرم كذلك. وبعد استرجاع الكتب كلها لمحلها على طبق الكناش الأصلي، تكون اعارتها تتجدد على الضابط القديم المعهود فيها، من اعتبار الأهلية في المستعير، وتقييد إسمه، والاشهاد عليه عند القيمين، واعلامهم النظار والقضاة به، وتمكينه إذا من الكتاب الذي استعاره، بعد وصفه وعد أوراقه وتقييد تاريخ دفعه له. وعند انصرام كل ستّة أشهر يبحث عن الكتب المعارة، وتحاز ممن هي عنده وترد لمحلها وما لم يكن ثم عمل المستعير به يخص على التعجيل احتياطا. م ينتخب لها قيم حازم أمين ثقة: كالطالب علال إبن جلون الذي كان مكلفا بها قيد حياة سيدنا الجد رحمه الله، وتكونان أنتما والنظار مشرفين عليه. ويعين لها ناسخ ينسخ ما كاد أن يتلاشى من الكتب، ومسفر يصلح ما تمزق من الأسفار، وتكون لهم الأجرة كما عهد للذين كانوا مرشحين لذلك قديما.

وقد كتبنا للنظار بمثله، فلتصرفوا هممكم، لتدارك ذلك، فإنه من المهمات التي يتنافس في احياء مراسمها، وتشييد معالمها، ومن سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة.

والسلام، في 29 رجب عام 1311

(الخزانة العلمية بالمغرب)

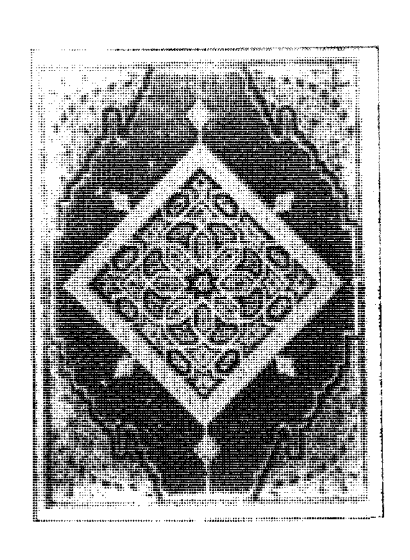
لمحمد العابد الفاسي مطبعة الرسالة الرباط ص 72

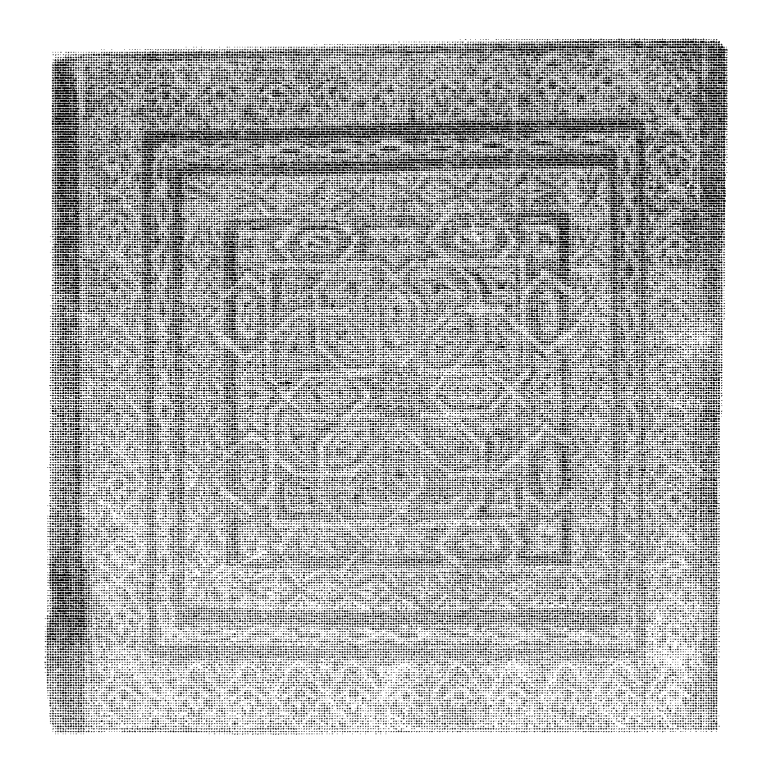
اسلوب استعمال ماء الذهب

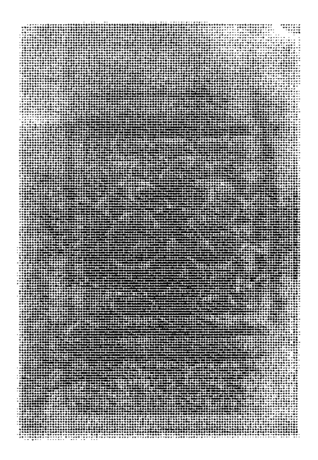
استخدم المغاربة في هذا العصر أسلوب آخر في صنع ماء الذهب بدون عسل حر ولا فرك ورق الذهب... استعملوا فقط صفر البيض، والزعفران الحر، والخل البلدي، وعلك البرقوق، وعلك الطلح.

وكيفية الاستعمال هي أن تأخذ الزعفران الحر والخل البلدي، وتضعهما في إناء مدة ثلاثة أيام، ثم تأخذهما وتضعهما في ثوب رقيق جدا وتقطره أو تعصره في إناء آخر ثم تضيف علك الطلح وعلك البرقوق وصفر البيض وتكتب به وتزخرف وكأنه ماء الذهب الحقيقي.

نماذج من بعض التسافير والزخارف المغربية







رسالة إلى السلطان مولاي حفيظ
كتبها محمد بن الحاج محمد بن أبي بكر لحلو

وبعد: فإني انهي لشريف علم مولانا.... بأني كنت حسنت النصر وانمقته، وزينته بالذهب كما يليق .... بواسطة الفقيه سيدي أحمد بن مواز وانمقت وزينت هذه الأبيات، وكتبتها وحسنتها بالذهب والتزويق، والتسفير بالذهب، التي هي من انشاء مولانا أمير المؤمنين... ومهما أراد سيدنا... أن ينمق ويزين كتابا بالذهب والتزويق، والتسفير بالذهب، فنحن على خدمة الأعتاب الشريفة....

وفي 13 جمادى الثاني عام 1326.

محمد بن الحاج محمد بن أبي بكر الحلو.

حسب سيدي محمد المنوني[5] هذه الرسالة من وثائق جائزة الحسن الثاني للمخطوطات.

---

(5) المرجع السابق

التسفير في عهد العاهلين:
السلطان مولاي يوسف، والملك محمد الخامس

في عهد السلطان مولاي يوسف، وفي عهد المرحوم المقدس المولى محمد الخامس أي في فترة الحماية، ظهرت آلات ميكانيكية وأساليب عصرية في فن التسفير بدلا من الآلات والأساليب التقليدية العربية.

مثل آلة التقصيص الميكانيكية بدلا من آلة التقصيص الخشبية، وآلة ترقيق الجلد الكهربائية بدلا من ترقيق الجلد بالسكين الحاد، وآلة المقطاع (Cis Aille) بدلا من المقراض (حديدة قاطعة) وآلة التذهيب حاملة الحروف (Composteur) لكتابة عنوان الكتاب واسم مؤلفه على الجلد بدلا من كتابتها داخل المخطوط في الصفحة الأولى أوالأخيرة، أو في ناحية التقصيص وإلصاق البرشمان بدلا من نسجه وخياطته على رؤوس الكراريس، وتدوير الكتاب وتظهيره بدلا من طريقة التعليب، والخياطة الفرنسية بدلا من الخياطة العربية، والتسفير بدفتين فقط أي بدون اللسان والمرجع الأصغر، والغراء الأبيض colle Blanche للورق وcolle AFROID (REMY) للجلد بدلا من النشا والصمغ العربي وغير ذلك.

وبالرغم من أن سياسة الحماية استخدمت هذه الآلات والأساليب العصرية فقد بقيت صناعة التسفير يدوية في الجوهر.

وتجدر الإشارة إلى أن المسفر لم يبقى ينتج الورق المقوى (الكرطون) كما رأينا في العصر السعدي، فقد أصبحت له معامل خاصة به، وكذلك لم يعد ينتج الأوعية الجلدية والمحافظ، فقد ظهرت في هذا العصر صناعة البزطام.

ومع مرور الزمن طغى على الميدان التسفير الفرنسي الحديث وأهمل التسفير التقليدي العربي.

التسفير في عصر جلالة الملك الحسن الثاني

واليوم تحضى هذه المهنة بالرعاية السامية من قبل أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله حيث أنشئت وزارة الصناعة التقليدية

مدارس مهنية يلتحق بها الطلبة يقضون بها مدة عامين يتدربون فيها على مهنة التسفير وتذهيب الكتب.

وبفضل هذه المدارس اصبحت هذه المهنة منتشرة في جميع أنحاء المملكة بعدما كانت قديما مقتصرة على مدينة فاس، والرباط، ومراكش. أي في المراكز التعليمية والثقافية الأساسية، ولتشجيع مهنة التسفير وجميع الحرف التقليدية، تنظم وزارة الصناعة التقليدية معرضا سنويا ومبارة لأمهر صانع تقدم له جائزة مالية وشهادة أمهر صانع.

ترميم جميع مخطوطات القرويين بطريقة علمية

حينما بدأت مخطوطات القرويين تتلاشى أوراقها وأغلفتها الجلدية بحكم الزمن وغيره من العوامل، أصدر صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني أمره المطاع بأن تعالج وترمم جميع المخطوطات التي بالقرويين بطريقة علمية في أحد المراكز الأخرى للترميم التي سيتم إحداثها قريبا.

فكلف وزيره في التعليم العالي الأستاذ ادريس خليل ليقوم بهذه المهمة.

وهكذا حظي هذا التراث العظيم بالرعاية السامية من قبل أمير المومنين صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله.

المصحف الحسني

في عصر الحسن الثاني حفظه الله اعتنى جلالته بكتاب الله.

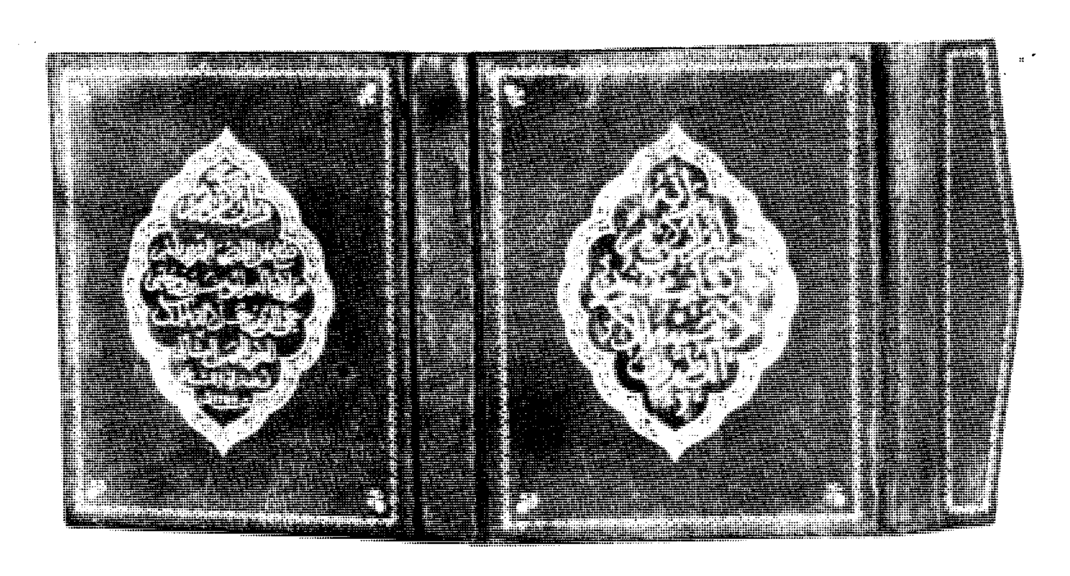
فعهد نصره الله إلى وزيره السابق في الأوقاف والشؤون الإسلامية السيد الحاج أحمد بن عبد الرحمان بركاش ليقوم بمهمة ترشيح أحد الخطاطين الممتازين والفقهاء لتصحيحه.

فرشح السيد أحمد بن الحسين السوسي البهاوي لكتابة المصحف الحسني كما رشح الأستاذ السيد أحمد بن أبي شعيب الصديق الدكالي والسيد محمد بن كبور العبدي والسيد محمد بربيس والسيد أحمد الحسناوي لتصحيح رسم المصحف، وضبط مصطلحاته. وذلك سنة 1967/1387.

فكتب بخط مغربي مبسوط مرونق وخاصة الصفحة الأولى والثانية، كتبت على أرضيه مذهبة، في وسط إطار مزخرف باللونين الأخضر والأحمر.

ثم سفّر بالجلد المغربي الممتاز الأخضر، وزين بالتذهيب وسط الجلد بزخارف في شكل ضفائر مكتوب في وسط الدفة اليمنى: إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون. وفي الدفة اليسرى قرآن كريم طبع هذا المصحف الشريف بأمر مولانا أمير المومنين وحامي حمى الدين جلالة ملك المغرب الحسن الثاني نصره الله عام 1387.

الصفحة الأولى والثانية من المصحف الحسني مكتوبة بخط مغربي على أرضية مذهبة، وتبدو فيها البراعة في الجمع بين الكتابة الجميلة والزخرفة الرائعة



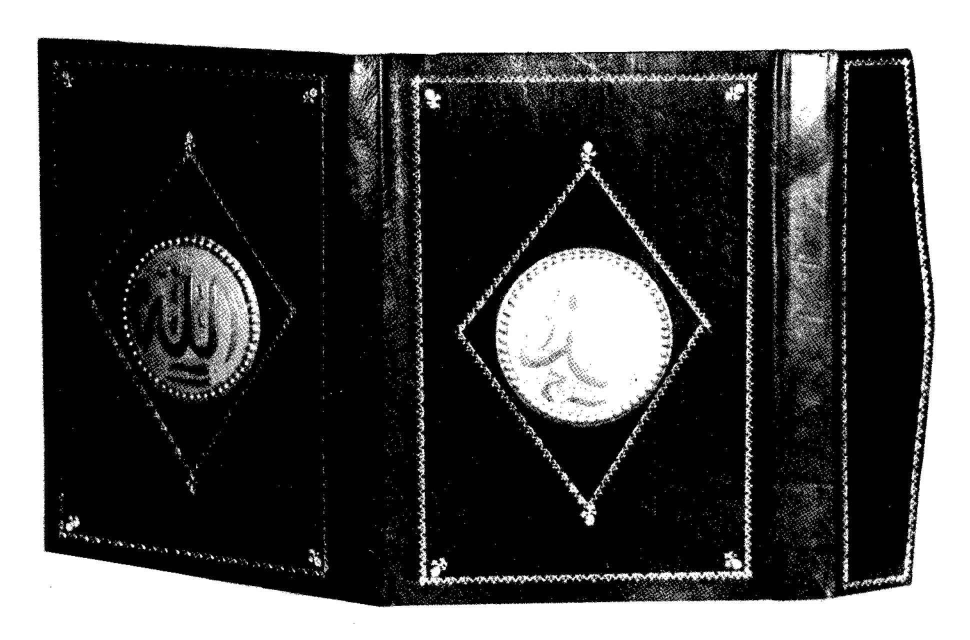
تسفير المصحف الحسني بالجلد الأخضر وبطريقة عربية إسلامية أي بالمرجع الأصغر والأكبر (اللسان) مذهب ومزين بزخارف على شكل ضفائر

من الخطاب الملكي السامي بمناسبة افتتاح المعرض الدولي الثالث للصناعة التقليدية

"فالصناعات الفنية كانت وستبقى دائما من أجمل مظاهر الحضارات بإبداعاتها التي تعد التعبير الصادق والأصيل عن حياة الشعوب ونمط عيشها وأسلوب تفكيرها وتعبيرها.

فقد كانت هذه الصناعات بمثابة جسر يصل بين مختلف الشعوب وأدات تتيح للمجتمعات الانفتاح على بعضها البعض وجلب المنافع المادية والمعنوية لأفرادها وجماعتها"

يونيو سنة 1991



تسفير مصحف بطريقة عربية اسلامية، وبالجلد الأخضر والنحاس في الوسط، مكتوب عليه في الدفة اليمنى إسم ـ الله ـ والدفة اليسرى إسم ـ محمد، من ابتكار المؤلف

التسفير الإفرنجي (الحديث)

الفصل الخامس

1. اللوازم الضرورية للتسفير والتذهيب العصري
2 . خياطة الكراريس
3 . تقصيص الكتاب
4 . تدوير الكتاب
5 . تظهير الكتاب
6 . تفصيل الكرطون
7 . تركيب البرشمان
8 . ترقيق الجلد
9 . تركيب الكعوب
10 . كسوة الكتاب بالجلد
11 . تبطين الكتاب
12 . التعليب
13 . كيفية تعليب الحجم الكبير، والكتب الغير المزدوجة الأوراق
14. كيفية تذهيب الكتب.

اللوازم الضرورية للتسفير والتذهيب العصري

1) اللوازم الكبرى:

- المكبس (الزيار) وهي آلة ضاغطة
- آلة التقصيص الكهربائية.
- آلة المقطاع للكرطون والأوراق.
- آلة ترقيق الجلد الكهربائية

2) اللوازم الصغرى:

- منشار
- شفرة صغيرة
- مخرز أو مثقب.
- بيكار.
- مسطرة حديدية
- صفيحة من الزنك.
- عظم العاج.
- مقص.

3) لوازم الخياطة:

- مرمة.
- خيط أبيض
- قنب.
- إبرة.

4) ورق الكارطون:

- هناك وزن 1 كيلو غرام، 2 كيلو غرام، حسب حجم الكتاب.

5) الورق المزخرف (هناك عدة أشكال وألوان):

- ورق التلفيف الأصفر، الورق المقوى والورق الأبيض للتبطين.

6) الغراء:

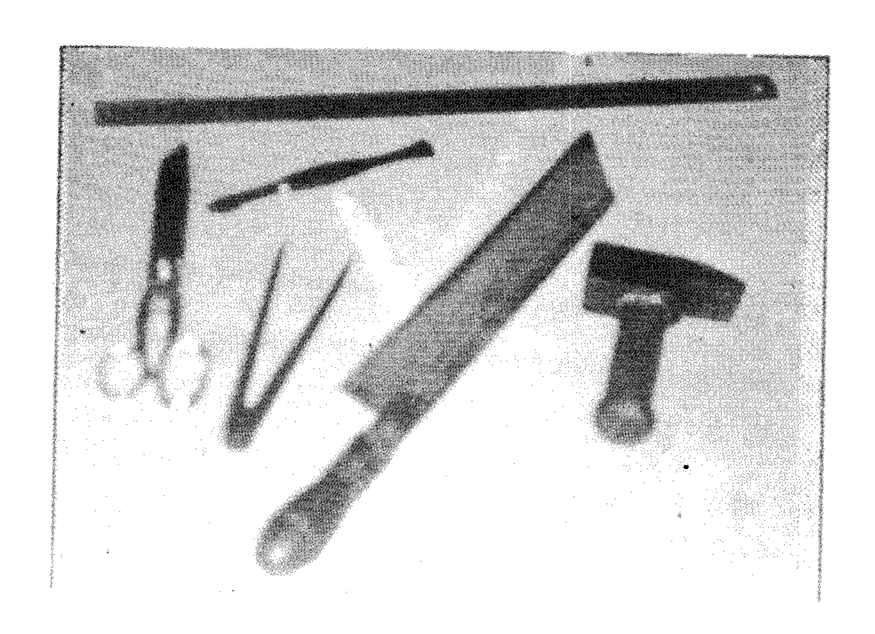
- الغراء الأبيض للورق والقماش،
- الغراء للجلد (ريمي).
- الغراء الأصفر (فلامبو)،
- فرشاة.

7) الجلد:

- جلد المعز. (الزيواني)
- جلد الخروف. (البطانة)
- القماش.

8) التذهيب:

- ورق الذهب
- حاملة الحروف
- طابع حديدي (المرشم).
- مجمر
- صندوق الحروف



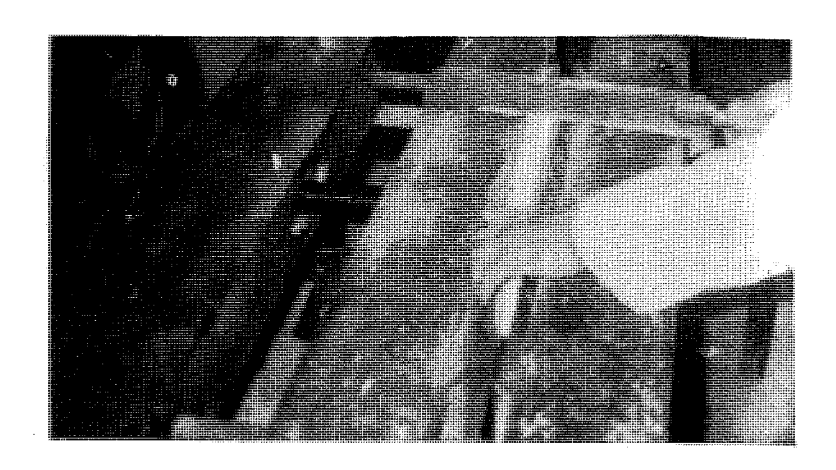
لوازم التسفير

لوازم التذهيب

خياطة الكراريس

أول ما يبتدئ به المسفر بعد شق كراريس الكتاب بالمنشار داخل المكبس (الزيار) هو الخياطة بالمرمة، حيث يعقد خيطين من (القنب) أو ثلاثة أو أربعة أو خمسة حسب حجم الكتاب.

وقبل ذلك يأخذ ورقا أبيض مزدوجا ويلصقه في أول الكراس وفي آخره ثم يدخل الإبرة بالخيط في الكراريس وفي الشق المرسوم ويكون الخيط الذي يحزم به رقيقا مقوّى وهكذا حتى يجمع كراريس الكتاب بالخياطة بعضها إلى بعض، ثم يعقد أخيرا الخيط عقدا محكما ويقطع الخيط (القنب) الذي عقده في المرمة على 7 سنتم من طوله. وإذا كانت الكراريس كثيرة، وظهر غلظ في موضع الخياطة، يضرب على موضع الخيط بمطرقة على لوحة الرخام حتى يسكن ما غلظه الخيط ثم يدهن ظهر الكتاب بالغراء الأبيض ويتركه حتى يأخذ في اليبوسة.



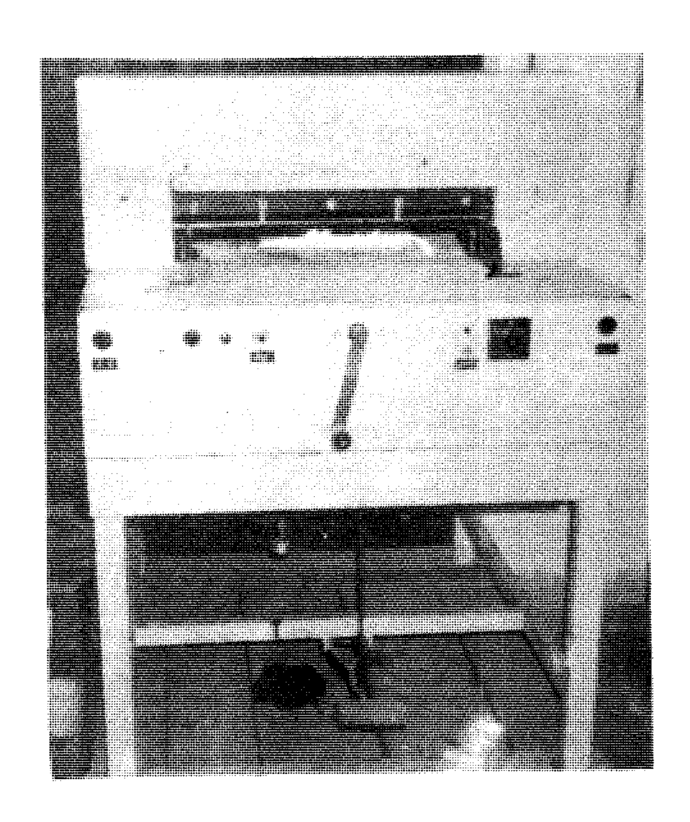
كيفية شق كراريس الكتاب بالمنشار



خياطة الكراريس بالمرمة

تقصيص الكتاب

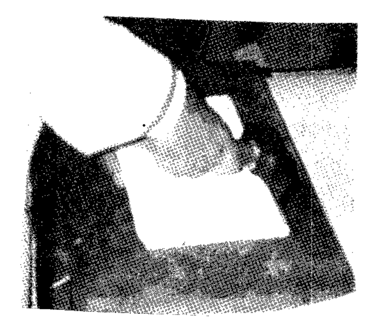
بعد أن يأخذ الكتاب في اليبوسة، يقصصه من ثلاثة نواحي بآلة التقصيص الميكانيكية.



آلة التقصيص الكهربائية

تدوير الكتاب

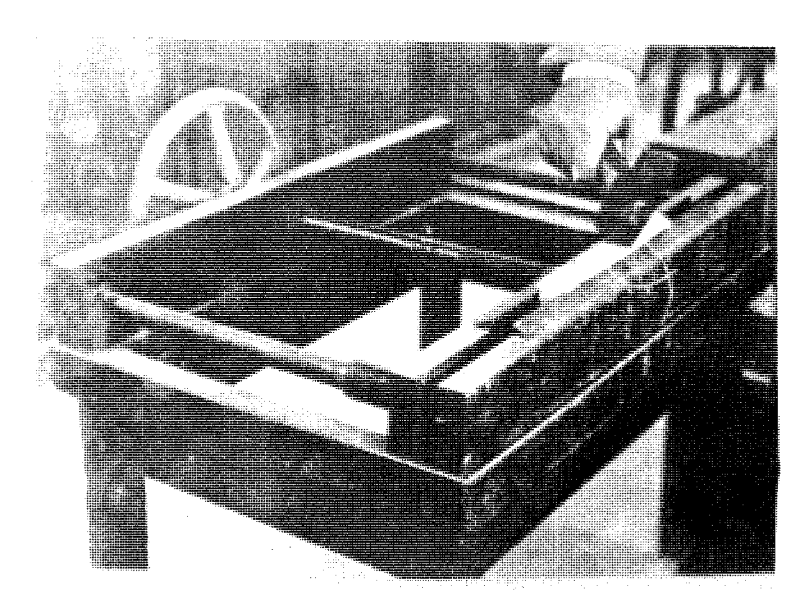
ثم يضربه فوق رخامة بمطرقة ضربا خفيفا ويضغط عليه بيهمه الأيسر حتى يدور، وتسمى هذه العملية بالفرنسية



تدوير الكتاب (L'Arrondissure)

تظهير الكتاب

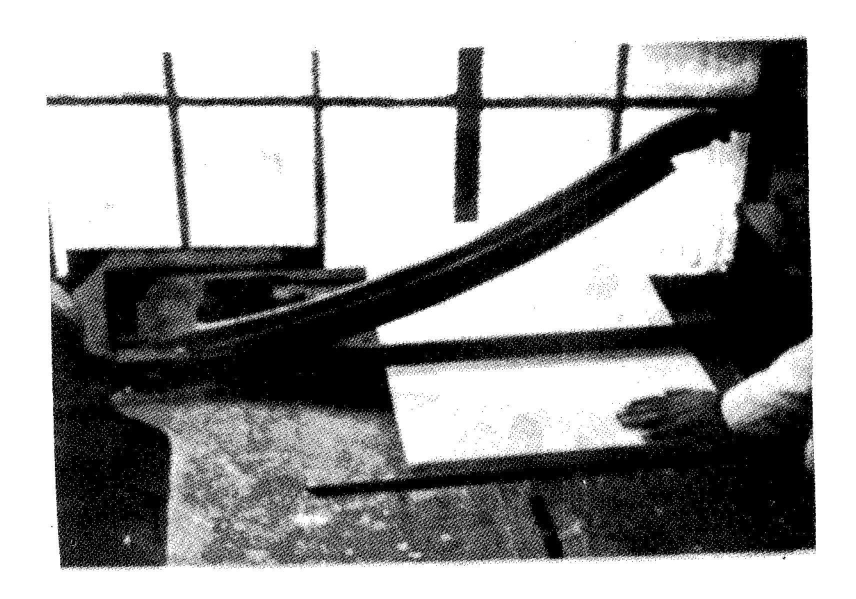
ثم يدخله مرة أخرى في المكبس ويضربه (أي ظهر الكتاب) بمطرقة صغيرة ضربا خفيفا ويكرر الضرب. وتسمى هذه العملية



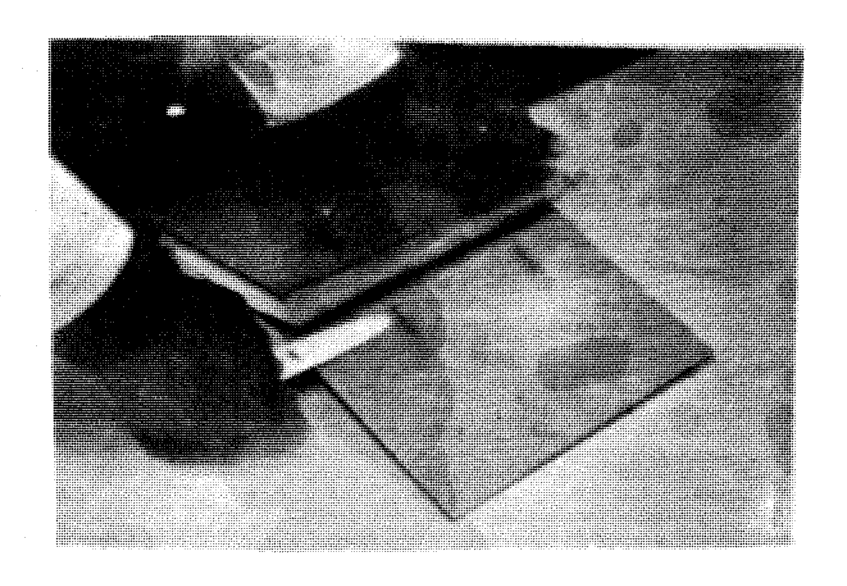
تظهير الكتاب (L'Endossure)

تفصيل الكارطون

ثم يفصل الدفف أي ورقتين من الكارطون الذي يكسوه بالجلد في المقطاع وتكون هذه الدفف دائما أكبر من الكتاب في طوله وعرضه ب 3 ملم، ويضعهما على موضع التظهير، وبعد تفصيل الكارطون، يرطب الخيط القنب الذي حزم به الكراريس ويدهن رأسه (أي الخيط) بالغراء وبعد ذلك يثقب تقبتين صغيرتين بواسطة المطرقة والمخرز (المثقب) على الكارطون، ويدخل فيهما (القنب) ثم يغلق الثقبتين بالمطرقة ويقطع القنب تاركا 2 سنتم وذلك لإلصاقه في الكارطون بالغراء، ويتركه يوما كاملا في المكبس (الزيار).



آلة المقطاع للكارطون (Cisaille)

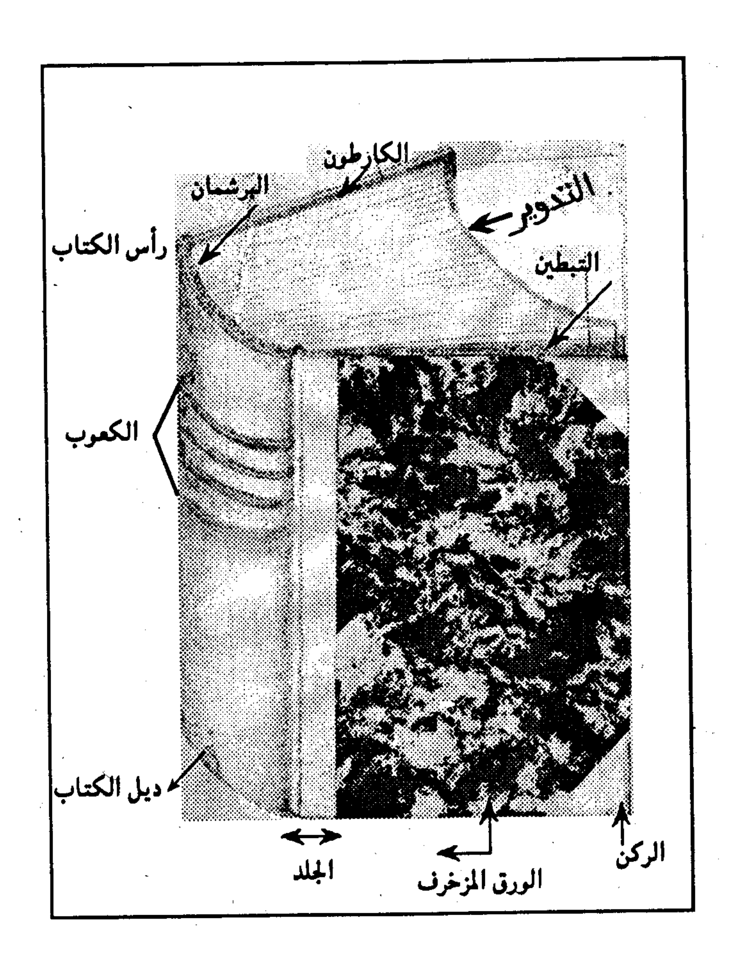


الصاق الخيط (القنب) على الكرطون

تركيب البرشمان

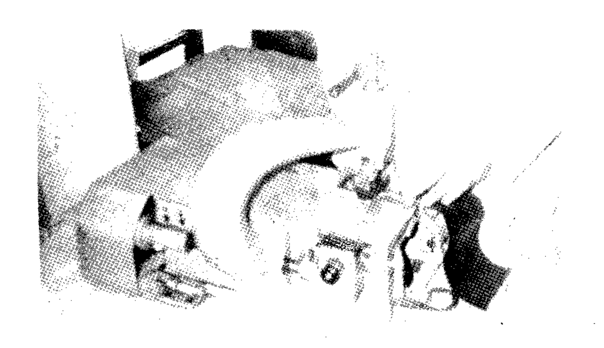
ثم يركب البرشمان في رأس الكتاب وذيله بعد دهنه بالغراء.

ويأخذ شريطا من ورق التلفيف الأصفر ويدهنه بالغراء الأبيض كما يدهن ظهر الكتاب ويلصق ورق التلفيف فيه ويتركه حتى يجف.



ترقيق الجلد

يفصل الجلد ويرققه إذا كان سميكا بآلة الترقيق الكهربائية أو بشفرة من الموسى الحادة ثم يدهنه بالغراء (ريمي) ويتركه حتى يشرب الدهن.

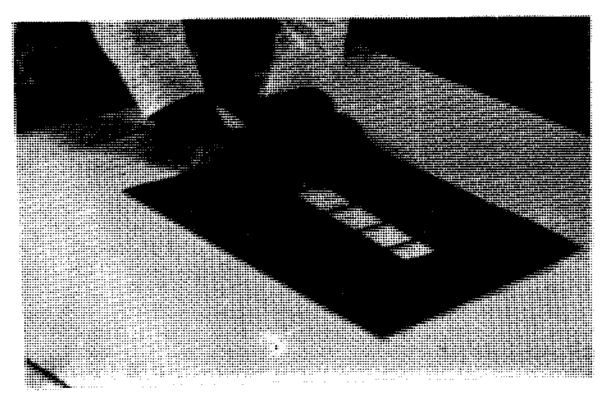


آلة ترقيق الجلد الكهربائية

تركيب الكعوب

يأخذ شريطا من الورق المقوى ويفصله على قياس طول الكارطون وعرض ظهر الكتاب ويلصق فيه الكعوب.

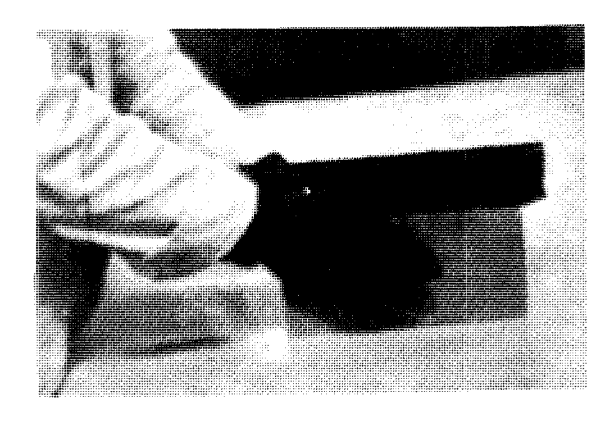
ملاحظة: تسمى الكعوب بالفرنسية (Nerfs) وتقطع من ورق الكارطون بالمقطاع.



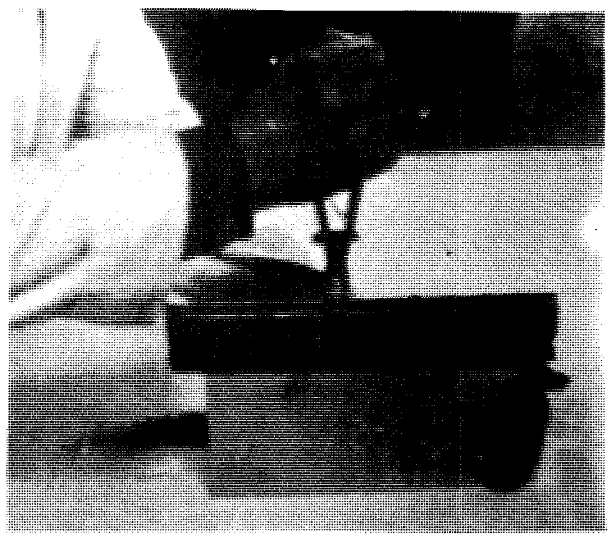
إلصاق الكعوب

كسوة الكتاب بالجلد

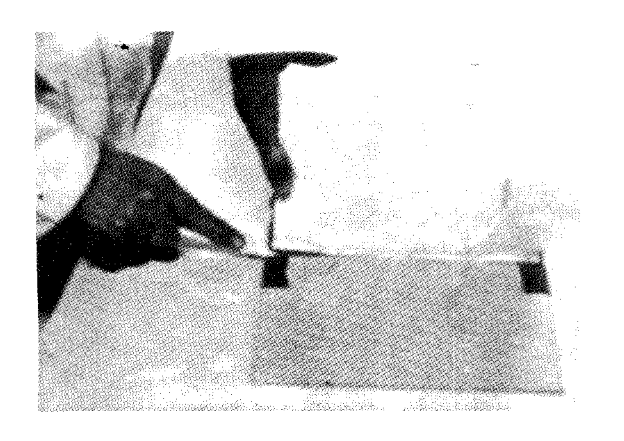
بعد إلصاق الكعوب في الشريط، يضعه فوق الجلد ثم يضع الكتاب فوقهما (أي الجلد الذي ألصق فيه الشريط) لكسوته بالجلد، ثم يدلك الجلد جيدا على ظهر الكتاب بيده اليمنى ويده اليسرى حتى تظهر له الكعوب، ويستعين في هذه العملية بالملقط، ويعطف أطراف الجلد على أطراف الكارطون، ثم يأخذ خيطا رقيقا ويضغط به على رأس الكتاب ويدلك جيدا بعظم العاج ثم يركب أركان الجلد ويعطفهم كذلك على الكارطون ويتركه حتى يجف.



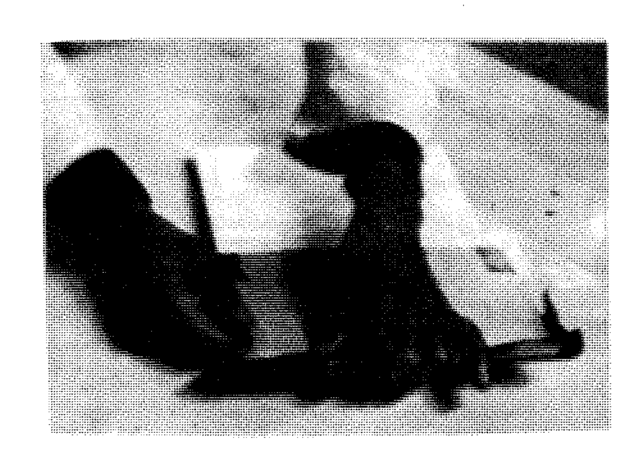
كسوة الكتاب بالجلد



تظهير الكعوب بالملقط

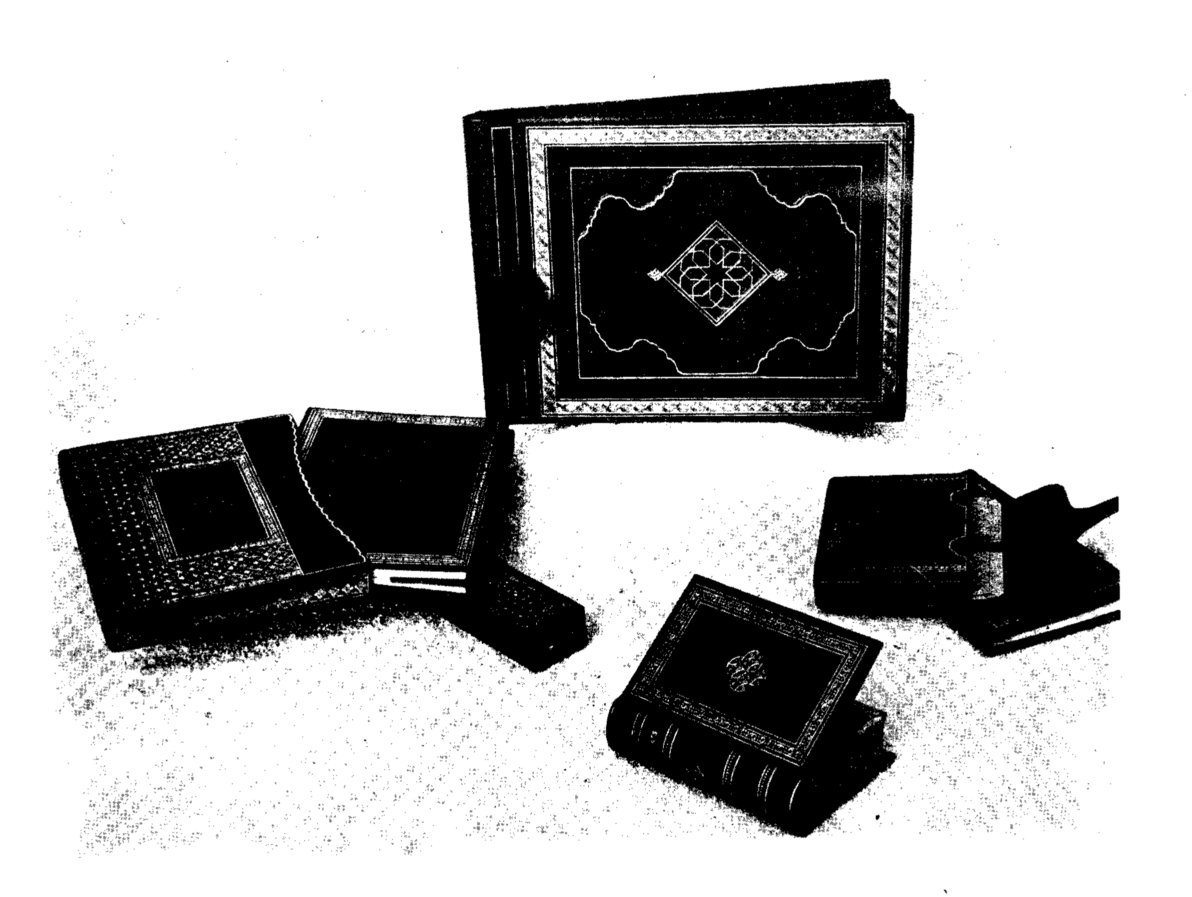


عطف الجلد على الكرطون



تركيب الأركان

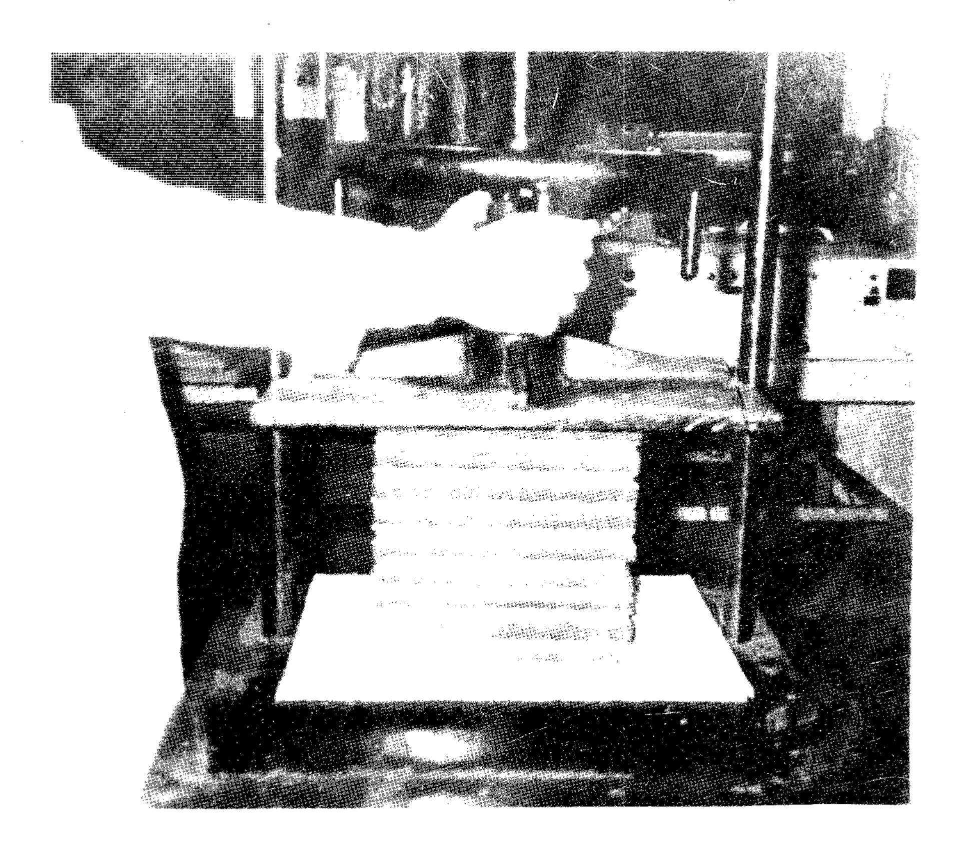
بعد كسوة الكتاب بالجلد، يفصل الكاغيط المزخرف ويلصقه في الكرطون بعد رسم الموضع بالبيكار فوق الجلد.



تسافير وزخارف مغربية عصرية

تبطين الكتاب

بعد تتميم التسفير، يبطن الكتاب من الداخل سواء بالورق الأبيض أو الورق المزخرف ويتركه في المكبس نحو يوم حتى يجف.

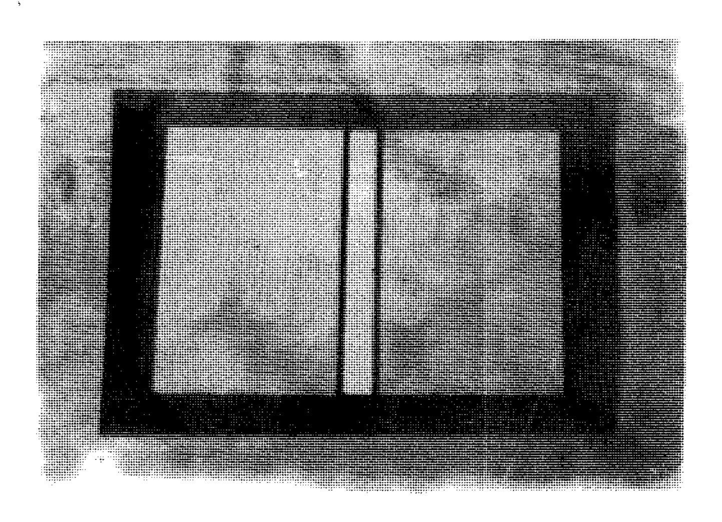


آلة كبس الكتاب (Presse)

التعليب

توجد طريقة أخرى في التسفير تدعى التعليب.

بعد خياطة الكراريس ودهنها بالغراء الأبيض وتقصيصها وتدويرها وتركيب البرشمان ولصق الخيط (القنب) على الورق الأبيض في أول الكتاب وآخره، وتركيب الشبكة وورقة التلفيف الأصفر على ظهر الكتاب يأخذ الجلد أو القماش ويبسطه فوق الطاولة ويضع فوقه ورقتين من الكارطون بعد تغريتهما بالغراء الأبيض، ويضع شريطا من الورق المقوى في وسطهما على قياس طول الكرطون وعرض ظهر الكتاب وذلك على وجه الدقة تاركا فراغا بينهما نحو 2 ملم لا أكثر، وبعد ذلك يقطع أركان القماش بالمقص، ثم يعطفه على الكارطون ويدلكه بعظم العاج ويضع الكتاب داخله بعد تغرية الورق الأبيض من الداخل (أي التبطين) ثم يتركه في المكبس (الزيار) حتى يجف.

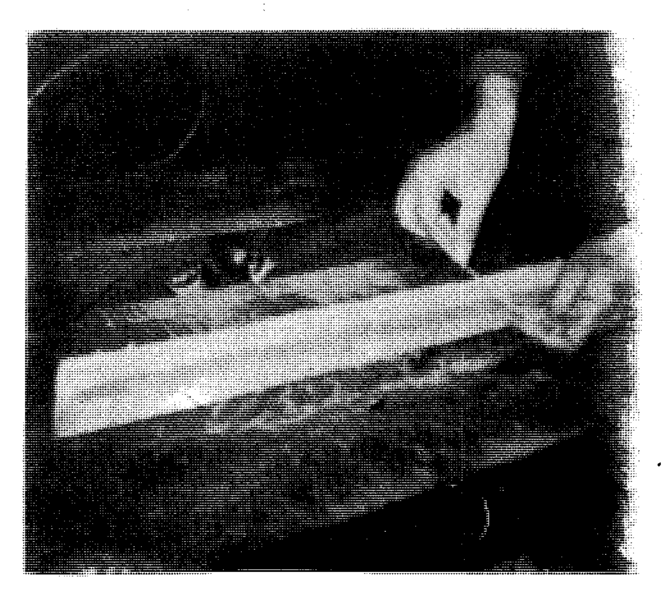


طريقة تعليب الكتب

كيفيه تعليب الحجم الكبير، والكتب الغير المزدوجة الأوراق

أما طريقة تسفير أو تعليب الحجم الكبير مثل الجرائد والكتب الغير المزدوجة الأوراق والتي لا يمكن خياطتها في المرمة، فطريقة تسفيرها كالتالي.

تأخذ ورقتين مزدوجتين من الورق الأبيض وتضعهما في أول الكتاب وآخره وتضع الكل في المكبس ثم تشق الظهر بالمنشار وتركب الخيط (القنب) داخل الشق (انظر الصورة).

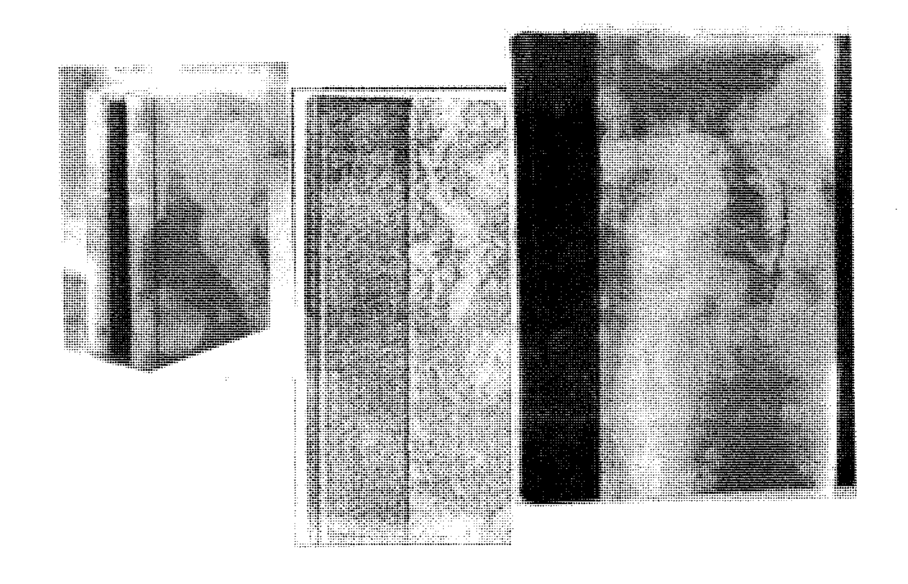


كيفية تركيب الخيط (القنب) في شق الجريدة

بعد تركيب الخيط في الشق، تدهن بالغراء الأصفر (فلامبو) ظهر الجريدة أو الكتاب وتضع فوقه الشبكة ثم تأخذ ورق التلفيف وتضعه كذلك فوق الشبكة وتتركه حتى يجف ثم تفصل الكارطون والجلد أو القماش، وتسفره بطريقة التعليب.

ملاحظة: فيما يخص الجرائد، فإن تغليفها بالجلد أو القماش لا يكون بالكامل بل تكتفي بتغليف الظهر والأركان فقط وما يبقى من الكارطون بالورق المزخرف.

أما الشبكة، فتكون دائما أكبر من ظهر الكتاب ب 3 سنتم لتغطى بالتبطين (Garde blanche).

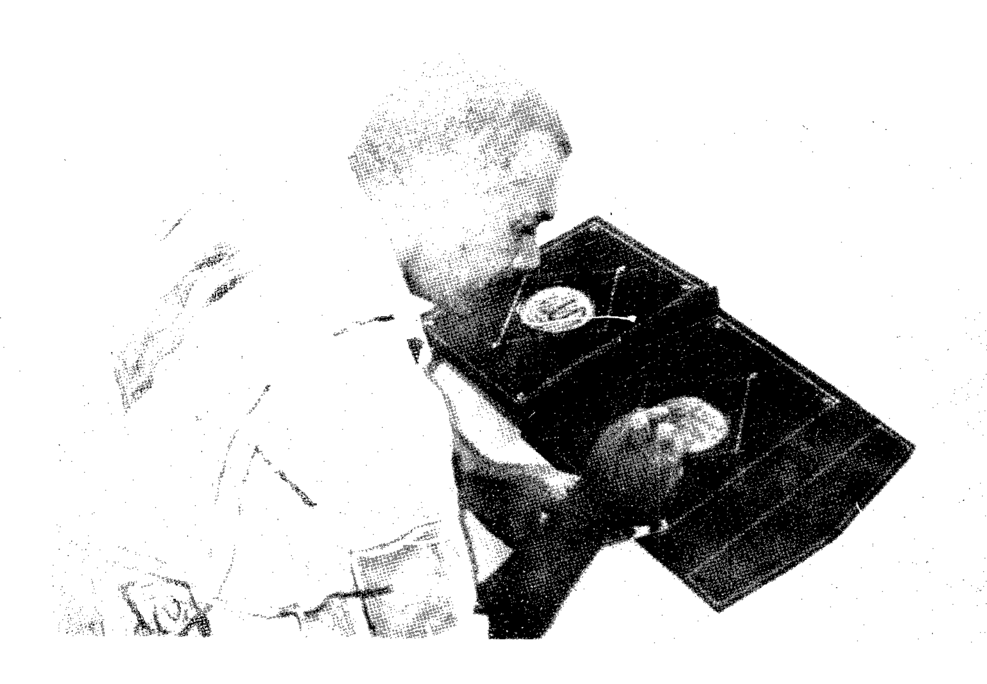


نماذج لتسفير الجرائد والمجلات بطريقة التعليب

كيفية تذهيب الكتب

تأخذ ورقة الذهب التي يكتب عليها وتضعها فوق الجلد، وتأخذ حاملة الحروف بعد ترتيب حروف عنوان الكتاب واسم مؤلفه وتضعها فوق المجمر حتى تحمى وتضغط بها على الجلد، ثم تأخذ المرشم وتضعه فوق المجمر حتى يُحمى وترسم به على الجلد، وإذا اقتضى الحال تجليد الكتاب بأكمله (Plein Cuir) ففي هذه الحالة يزخرف كليا.

وأشكال التذهيب والزخرفة تتنوع وتختلف.



تذهيب غلاف المصحف

ترميم المخطوط وعلاجه بالطريقة الإسبانية

الفصل السادس

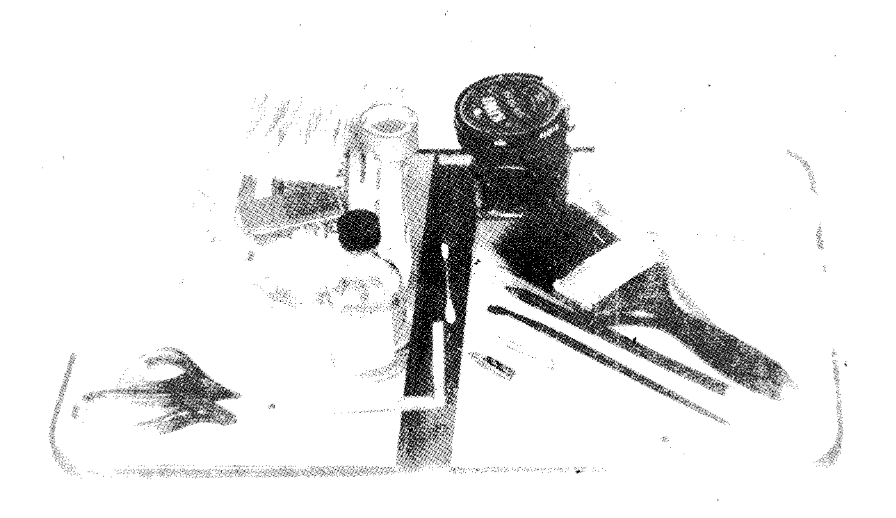
1 ـ لوازم الترميم الإسباني

2 ـ ترميم المخطوط، وعلاجه، وصيانته بالطريقة الاسبانية

3 ـ ترميم المخطوط المكتوب على الرق ـ Parchemin ـ

لوازم الترميم الإسباني

- آلة LAMINADORA
- آلة REINTEGRADORA
- الورق الشفاف الياباني والورق البلاستيكي
- شبكة.
- صباغة الجلد
- آلة الدلك
- موسى حادة
- فرشاة
- ممحاة
- كحول. Alcool للتنظيف صفحاتالمخطوط، ومواد كيماوية لإزالة الحموض
- قطن.
- قلم الرصاص
- صابون خاص لتنظيف صفحات المخطوط والجلد
- نشاف أبيض
- مكواة للترقيع
- طاولة مضيئة
- مكبس
- آلة قياس الحموضة
- آلة قياس الرطوبة
- مجهر



الأدوات الخاصة بالترميم

ترميم المخطوط، وعلاجه، وصيانته بالطريقة الإسبانية

تضم الخزانات المغربية العامة والخاصة مجموعة ضخمة من المخطوطات النفيسة والنادرة. كخزانة القرويين بفاس، والخزانة الحسنية والخزانة العامة بالرباط، وخزانة بن يوسف بمراكش، والخزانة الصبيحية بسلا، وخزانة مكناس، وتطوان والأقاليم الصحراوية والزوايا وغيرها.

وبفعل الزمن تتعرض الكثير من هذه المخطوطات إلى الطفيليات والحشرات «السوسة» التي تؤدي إلى تآكل أوراقها وغلافها الجلدي.

وهذا يحتم علينا علاجها، وصيانتها، وترميمها حتى لا يضيع هذا الثراث العظيم الذي تركه الأجداد رحمهم الله.

إن الترميم حاليا بأوربا يكتسي عدة طرق كما ذكرنا في مقدمة هذا الكتاب، فهناك الطريقة الإسبانية، والإيطالية، والفرنسية، والألمانية، والانجليزية، والأمريكية والروسية وغير ذلك.

وإن الطريقة الروسية تختلف عن غيرها، وتعتبر من أصعب الطرق المتبعة حاليا، حيث أنها تشق ورقة المخطوط إلى قسمين لتضع بينها الورق الشفاف، وفي هذا التقسيم تكمن الصعوبة.

إن الطريقة الروسية لا تستعمل عجين الورق في الخرم أو الورق الشفاف على وجه وظهر ورقة المخطوط - RECTO-VERSO - كما هو الحال بالنسبة للطرق الأخرى. أما الطريقة الألمانية فلا تستعمل بتاتا الورق الشفاف البلاستيكي، يعتبرونه بمثابة الحكم عليه بالإعدام.

لنأتي الآن إلى الطريقة الإسبانية:

تبدأ هذه الطريقة الإسبانية بتلاث مراحل أو ثلاث مختبرات وهي:

1 - مختبر التحليلات

قبل الترميم والصيانة والعلاج من الحموضة، نصور المخطوط ونرقمه بقلم الرصاص، ثم نشخص حالته مثل المريض.

ونقيد في بطاقة خاصة اسمه، واسم مؤلفه وناسخه وتاريخ نسخه وتأليفه، وعدد أوراقه ونوع الكتابة، بماء الذهب أم بالمداد الأسود أم الأزرق أم الأحمر، أم بالسواك، مكتوب على الورق أم على الرق، نوع الخياطة عربية تقليدية أم فرنسية حديثة، نوع الجلد هل سفّر بجلد المعز أم بجلد الخروف، ولونه، والدفف بلوح الخشب أم بالأوراق المكتوبة أم بالكرطون الحديث... الخ. وبعد وصفه أو تشخيص حالته، ندخله إلى مختبر التحليلات لنرى في المجهر نوعية الورق، وللتأكد من خلوه من الحشرات والطفيليات. بعد ذلك نقيس درجة الحموضة بـ PH mètre، ثم نأخذ قطنا ونبلله بالماء ونضعه فوق المكتوب لنتأكد من أنه لا يزيله ولا يفسد الألوان.

2 ـ مختبر التسفير

ندخل المخطوط إلى مختبر التسفير لننظف صفحاته من الحشرات والطفيليات، ونزيل الأتربة والغبار عنه بفرشاة كل ورقة على حدة.

3 ـ مختبر الغسل

بعد تنظيف صفحات المخطوط بمختبر التسفير ندخلها إلى مختبر الغسل لنغسلها بالماء وصابون خاص حتى لا يبقى بها وسخ. هذا إذا كان الماء لا يزيل المكتوب، أما إذا كان العكس، فنغسل الصفحات بالكحول فقط دون الصابون. وقبل ذلك ندهن المكتوب ب Fixateur

بعد الغسل نجففها بنشاف أبيض ونتركها تحت رخامة مدة يوم، ثم نرمم المتآكل منها أي نملأ جميع الخرم (الثقوب) الموجودة في صفحات المخطوط بعجين الورق وبآلة ميكانيكية تدعى بالإسبانية REINTEGRADORA، بعد هذا نتركها في المكبس مدة يوم، ونأخذ ورقتين من الورق الشفاف الياباني، والورق الشفاف البلاستيكي ونضعهما على وجه ورقة المخطوط RECTO وندخلها في آلة ميكانيكية لتقوية الورق تسمى LAMINADORA، ثم نقلب وجهها الأسفل إلى أعلى VERSO ونضع ورقا آخر مزدوج من الورق الشفاف الياباني والورق الشفاف البلاستيكي وندخلها مرة أخرى في نفس الآلة أي LA MINADORA هذا إذا كانت أوراق المخطوط متلاشية جدا أو متفحمة، أو تعرضت إلى التفتت. أما إذا كانت في حالة جيدة فلا نستعمل بتاتا هذه الطريقة المذكورة بعد ذلك نرجعها إلى مختبر التسفير، لنحدق أطرافها بالمقطاع، ثم نأخذ ورقا مزدوج (التبطين

(Les Gardes) ونجمعه مع كراريس المخطوط بالخياطة العربية التقليدية، ثم ندهن ظهر الكراريس بالغراء ونتركها حتى تجف، بعد ذلك ننسج البرشمان بالحرير الملون كما كان يستعمله أجدادنا رحمهم الله ونجعل الشبكة على ظهر الكراريس. أي نلصق الشبكة في الظهر ونتركها مرة أخرى حتى تجف، ثم نغسل السفر جيدا بـــــصابون خاص حتى لا يبقى فيه وسخ، ونرممه أي نرقع الغلاف الجلدي، فإذا كان فيه نقص نكمله بقطعة أخرى من الجلد المدبوغ شبيه له بالضبط، ونتركه تحت رخامة حتى يجف من الغراء.

وبعد اتمام الغسل والترميم، نأخذ صباغة الجلد ونطلي بها الجلد بواسطة القطن ثم نعاوده بالطلاء حتى يأخذ لونا واحدا.

بعد ذلك نبطن المخطوط أي نلصق ورقة واحدة من الورق المزدوج (Les Gardes) المذكور بعد تغريته بالغراء، ونتركه في المكبس يوما واحدا حتى يجف، ثم نصوره مرة أخرى ليظهر لنا الفرق قبل الترميم وبعده.

وأذكر بأن هذه المخطوطات المرممة يجب المحافظة عليها في رفوف معدنية نظيفة حتى لاتتعرض مرة أخرى للحشرات (السوسة) وتتآكل.

ملاحظة:

إذا كان غلاف المخطوط متلاشيا جدا ولا يمكن ترميمه، نعوضه بغلاف جديد آخر شبيه له ونلصق فوقه المتلاشى بعد غسله ونجلده بطريقة التعليب انظر الصفحة 53.

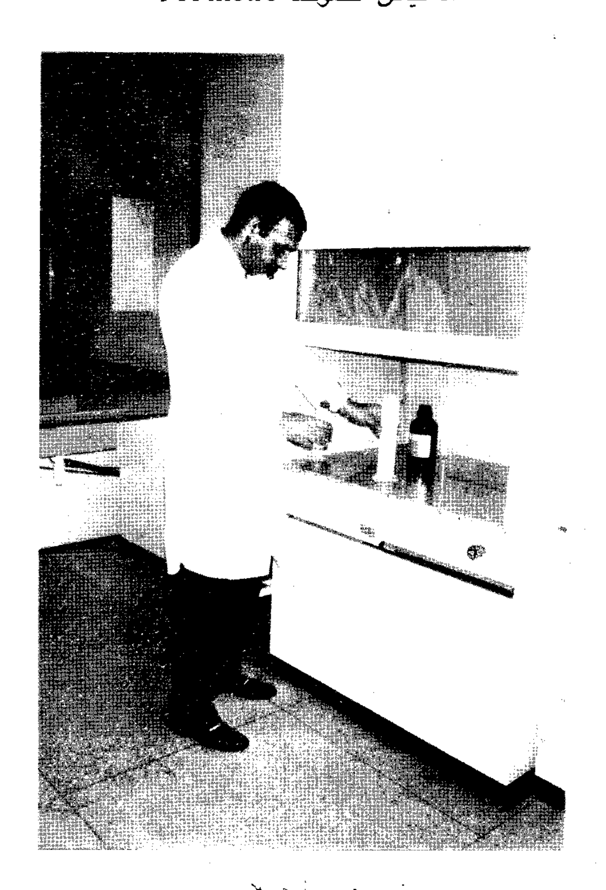
أما إذا كان الورق في حاجة إلى تقوية، أو به حموضة إذ ذاك نضيف له مواد كيماوية أثناء غسله في مختبر الغسل، وذلك لتحفظه مدة طويلة أما الأوراق المكتوبة التي وجدناها داخل الغلاف الجلدي والتي سبق أن دكرناها فيجب تسفيرها وحدها بعد ترميمها ليحققها محققي كتب الثراث.

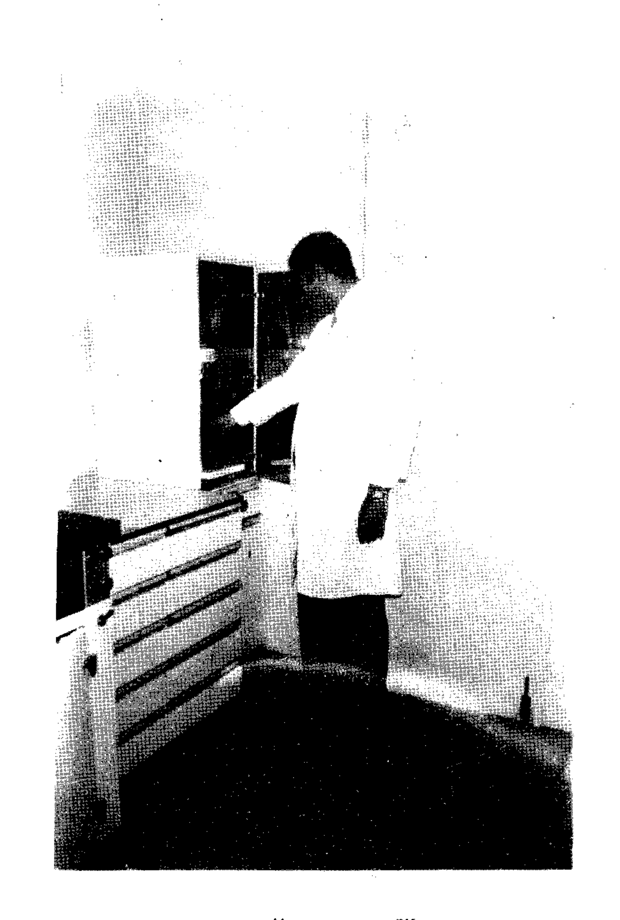
وأشير إلى أن الترميم لم يقتصر على المخطوطات فقط، بل المطبوعات القديمة والنادرة والخرائط والصور الفوتوغرافية وغيرها.

والترميم بصفة عامة يستغرق وقتا طويلا «شهر أو شهران أو ثلاثة أشهر أو أكثر».

وذلك حسب حجم المخطوط وعدد الصفحات والمتآكل منه.

آلة قياس الحموضة PH mètre





آلة مزج عجين الورق

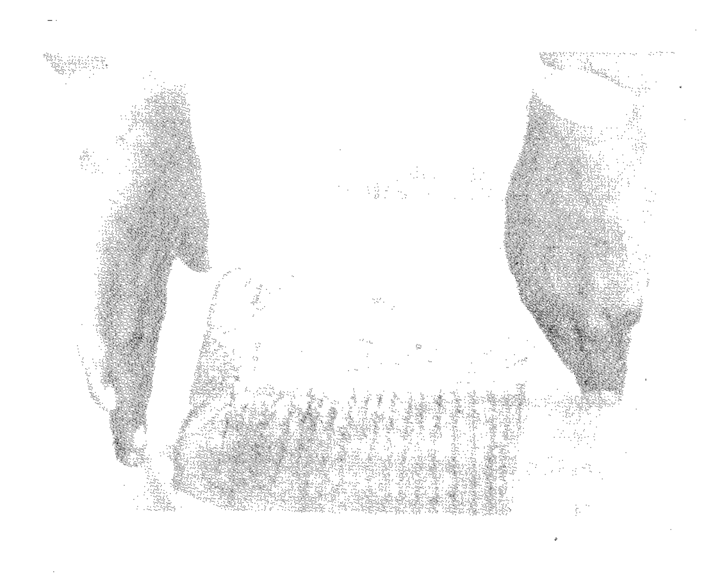
Mélangeur de pilpe



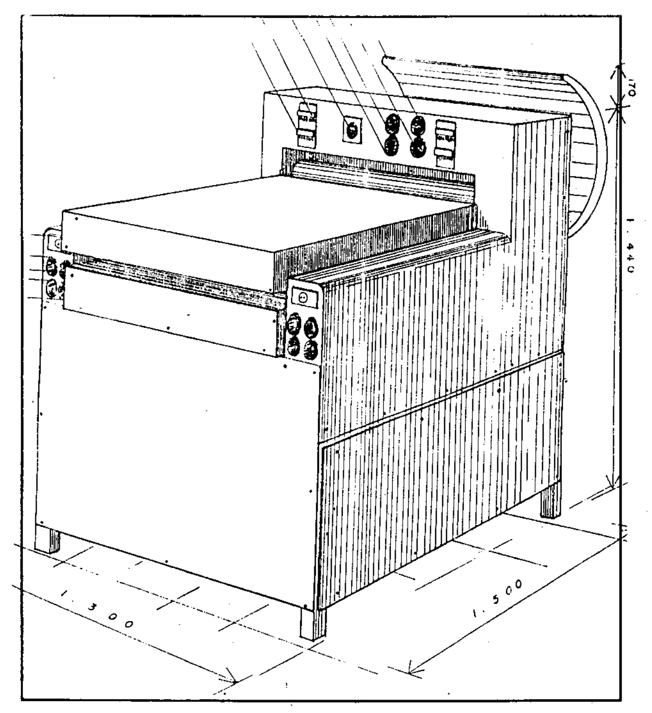
آلة ميكانيكية تملأ جميع الخرم الموجودة
في صفحات المخطوط بعجين الورق
REINTEGRADORA



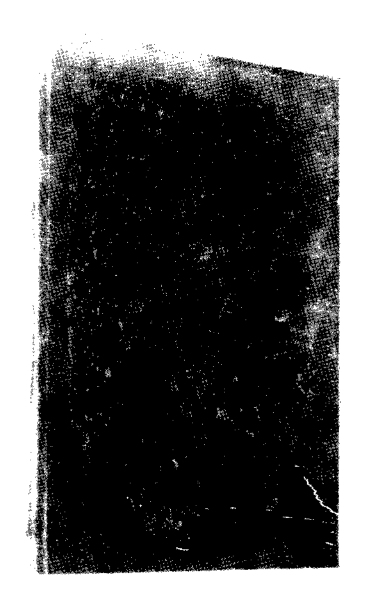
المجهر ليرى به نوعية الورق وللتأكد من خلوه من الطفيليات



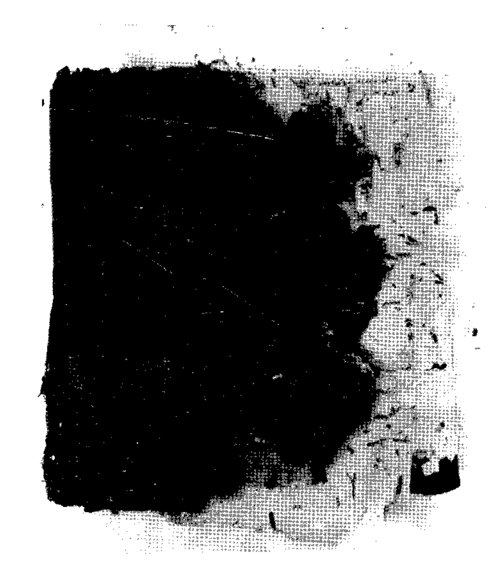
غسل ورق المخطوط بالماء والصابون الخاص
أو بالكحول إذا كان الماء يزيل المكتوب



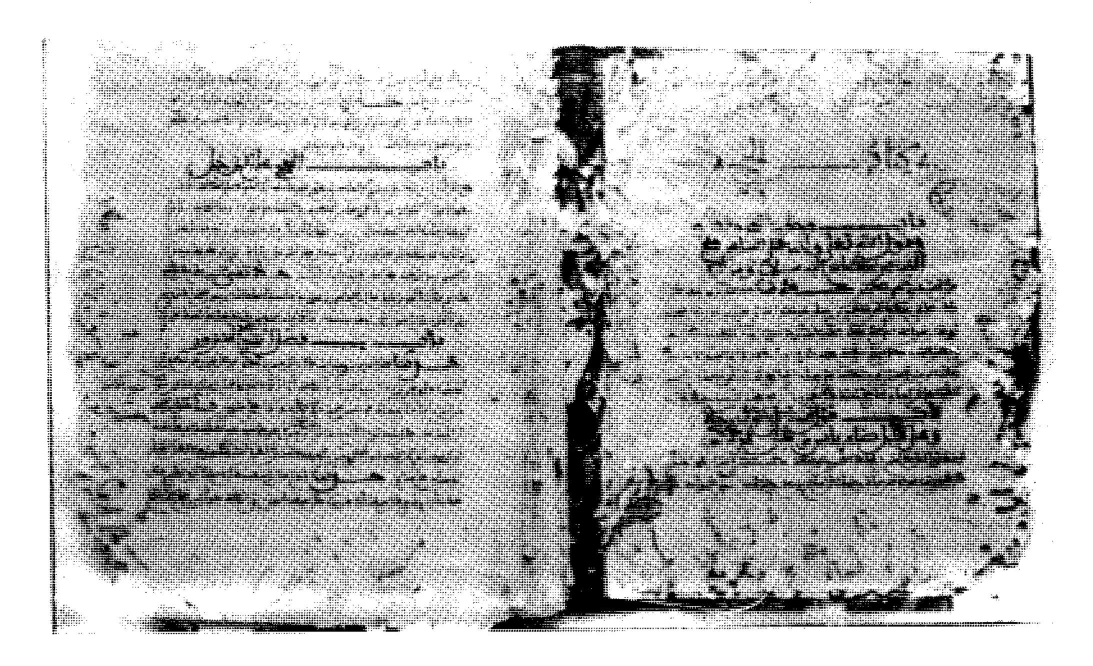
آلة ميكانيكية لإلصاق الورق البلاستيكي
(LAMINADORA)



بعد الترميم

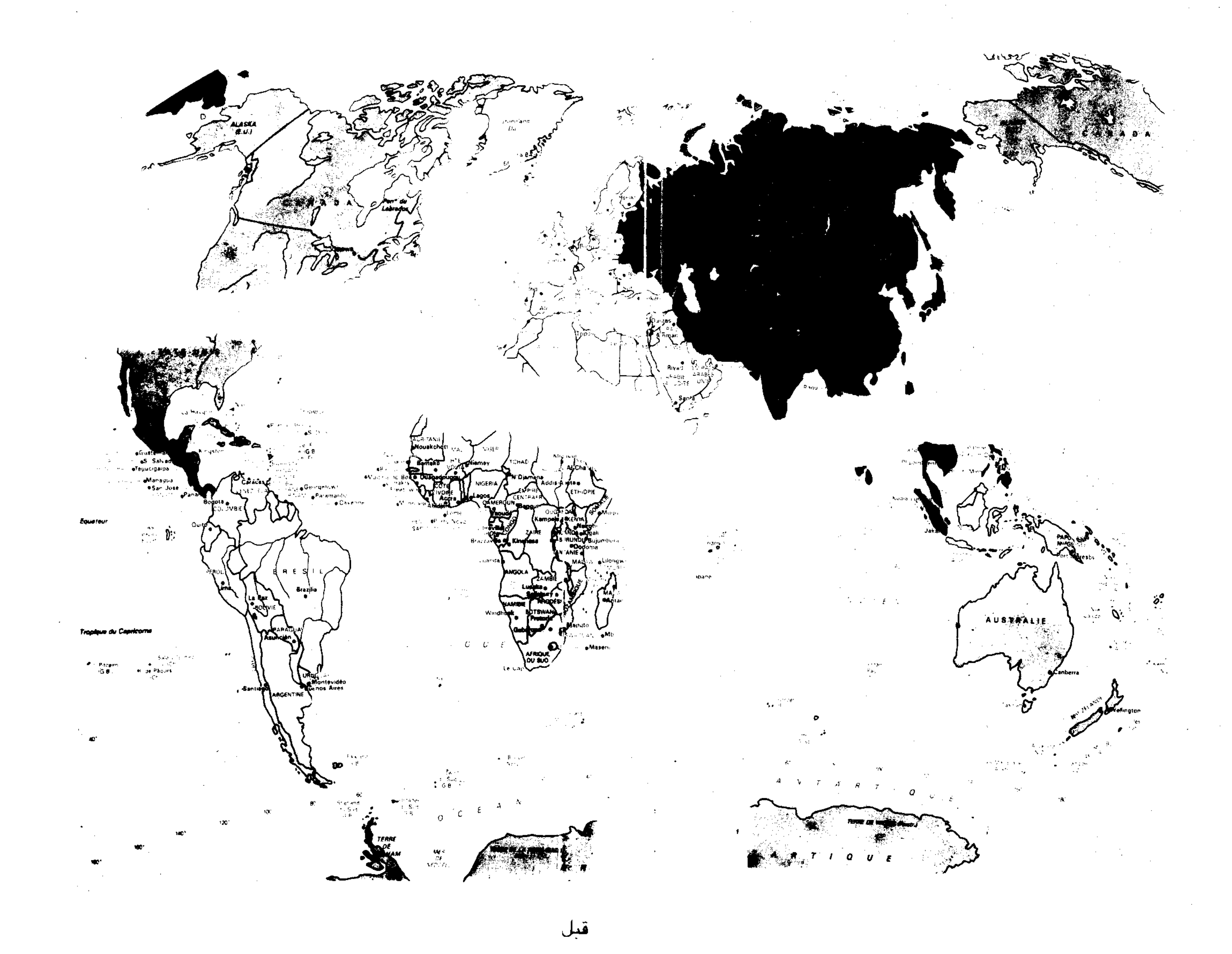


قبل الترميم

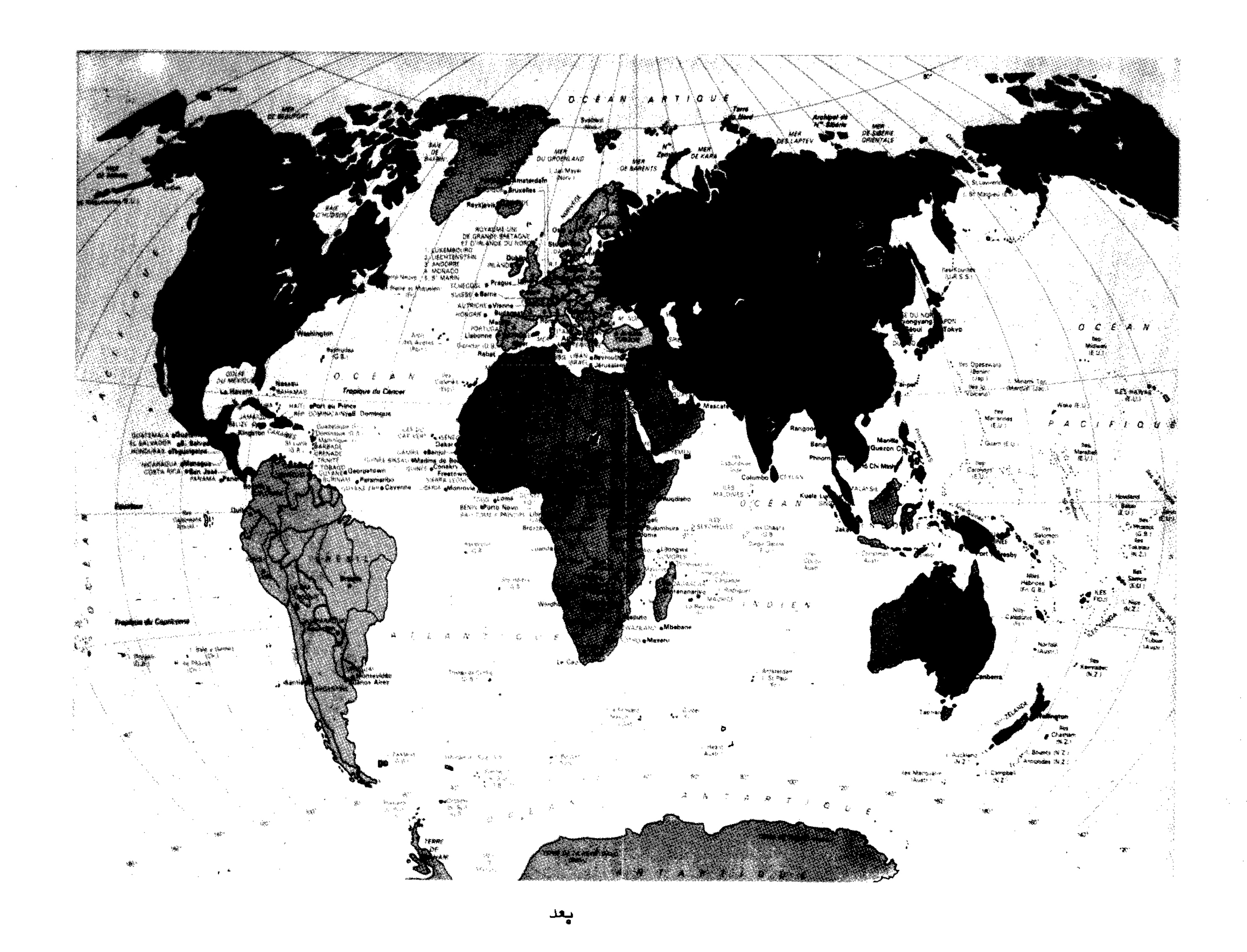


قبل

بعد


ALASKA
(E.U.)
CANADA
AUSTRALIE
Canberra
Wellington
Jakarta
Equateur
Tropique du Capricorne
BRESIL
Brazilia
Bogota
COLOMBIE
Quito
Caracas
La Paz
BOLIVIE
PARAGUAY
Asunción
Montevidéo
Buenos Aires
Santiago
ARGENTINE
Managua
San José
S. Salvador
Nouakchott
Niamey
TCHAD
N'Djamena
NIGERIA
Lagos
Accra
CAMEROUN
ETHIOPIE
Addis-Abeba
Kampala
KENYA
Nairobi
Kinshasa
ZAIRE
Dodoma
ANGOLA
ZAMBIE
Lusaka
Windhoek
Pretoria
Maputo
AFRIQUE
DU SUD
Le Cap
O C E A N
A N T A R T I Q U E
TERRE
DE
GRAHAM

قبل


OCÉAN ARTIQUE
OCÉAN PACIFIQUE
OCÉAN ATLANTIQUE
OCÉAN INDIEN
ANTARTIQUE
Tropique du Cancer
Tropique du Capricorne
Washington
Reykjavik
Bruxelles
Amsterdam
Prague
Berne
Vienne
Lisbonne
Rabat
Tokyo
Séoul
Colombo
Rangoon
Manille
Canberra
Wellington
La Havane
Nassau
Kingston
Paramaribo
Georgetown
Cayenne
Monrovia
Freetown
Lomé
Porto Novo
Mbabane
Maseru
Mogadisho
Mascate
Jérusalem
BAIE D'HUDSON
MER DU GROENLAND
MER DE BARENTS
MER DE KARA
MER DES LAPTEV
MER DE SIBÉRIE ORIENTALE

بعد



قبل



بعد

ترميم المخطوط المكتوب على الرق
- Parchemin -

كان الرق من أهم مواد الكتابة قبل اختراع الورق. استعمله المغاربة قديما. وقد رأينا سابقا كيف كانوا يستخدمونه في دكاكين الرقاقين بفاس.

وسمي بالرق لأنه جلد رقيق.

وطريقة ترميمه خاصة إذا كان به كماش:

بعد الرسوخ (Fixateur) نجعله مدة 60 دقيقة في إناء به 70 بالمئة كحول و30 بالمئة ماء طبيعي.

نرش اللوحة البيضاء المغلفة بـ (الفورميكا) برشاشة بها ماء طبيعي وندهن ورقتين من الورق الشفاف البلاستيكي بمادةكيماوية تسمى - POLIETETIELON- GLICOL 400 - ونجعل بينها الرق.

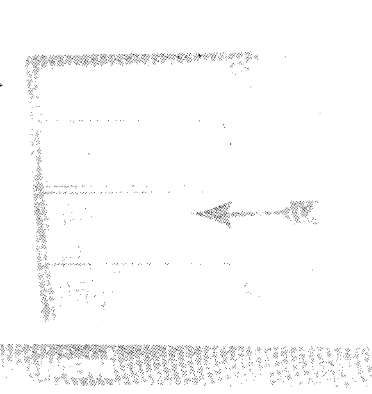
بعد ذلك ندلك الكل ونبسطهما بالكف، ثم بآلة شبه عجلة - Roulette - حتى لايبقى بالرق كماش، ونجففهما بنشاف أبيض ونتركهما في آلة الضغط مدة يوم مع استبدال النشاف الأبيض كل ثماني ساعات. ثم نرمم المتآكل منه برق آخر إذا كان موجود أو بورق شبيه له، ويجبالاحتياط من إدخاله في آلة - REINTEGRA-DORA - المائية أو في آلة - LAMINADORA - الساخنة، لأنه ينكمش آنذاك بحرارتها.

بعد ذلك نجمعه بالخياطة ونرمم الغلاف الجلدي بالطريقة التي سبق أن ذكرناها في صفحة ترميم المخطوط المكتوب على الورق.

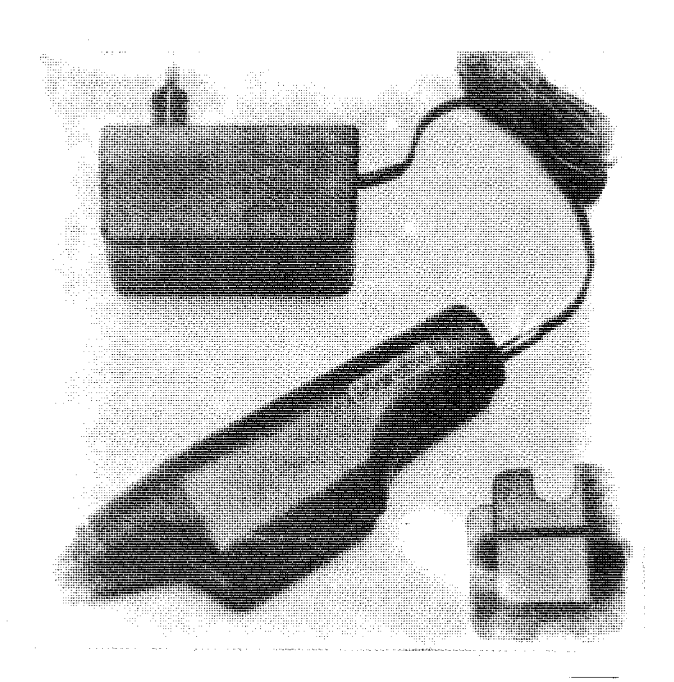
وقبل الختام أذكر بأن الترميم مثل جراحة التجميل، يحتاج منفذه إلى أعصاب هادءة، وصبر، وتفكير، واتقان، وحرص، ومهارة. لأن المرمم يتعامل مع تراث ضعيف للغاية مرت عليه مئات السنين.



آلة لدلك الرق (Roulette)



آلة قياس الحرارة والرطوبة



ممحاة كهربائية لإزالة الوسخ الموجود على ورق المخطوط

لإثراء هذا الفن، يمكن لوزارة الشؤون الثقافية انشاء متحف خاص بفن التسفير القديم حفاظا على هذا التراث الغني، حيث أن هناك آلات، وأدوات كانت تستعمل للتسفير والتذهيب قديما يمكن استغلالها لهذا الغرض النبيل.

بهذا أيها القارئ الكريم أختم هذا العرض الشامل لتاريخ فن تسفير المصاحف الشريفة، والكتب المخطوطة بالمغرب، وأضعه بين يدي المهتمين وخاصة الصناع التقليديين، رافعا أكف الضراعة إلى الله المتعال أن ينفع بهذا الجهد المتواضع على قدر ما أخلصت في النية ورجوت من الخير.

والحمد لله رب العالمين.

المصطلحات المستعملة في التسفير القديم

- آلة التقصيص الخشبية	Le Fût à ronger
- برشمان	Tranchefile
- تخت أو زيار التقصيص	Presse de relieur, Presse à rogner
- تبطين	Garde Blanche
- الترنجة	Trace laissée ce coin sur le centre dans un plat de relieure
- حجر القوصري	Pierre ponce, qui servait à polir les tranches après l'opération du rognage
- حجرة ملساء	Pierre polie Faissant office de marbre, de pierre à battre
- الخفيف	L'éger maillet en bois dur Tourné
- صمغ عربي	Gomme arabique
- ضابط أو دابد	Compas
- عراقب	La colle forte
- عود من صناعة الخراط	Plioir
- قالب	qui sert à appliquer les feuilles les unes sur les autres
- قرطبون	Equerre
- قاس	Mesurer
- محارة لدلك الجلد	Coqullage à polir le cuir
- مفرط	outil à découper le cuir, le papier
- مقراض	Traçoir, pointe à rabaisser servant à couper les cartons
- منجم	Maillet en bois
- محارة لصقل المكتوب بالذهب	coquillage servait à donner du brillant à l'or appliqué à la plume
- مخط	outile en fer qui sert à tracer des traits sur le cuir
- نشا	colle de pâte épaisse
- قفا	Dos d'un livre

المصطلحات المستعملة في التسفير والترميم الحديث

آلة ميكانيكية لملأ الخرم بعجين الورق	-Reintegradora
- آلة إلصاق الورق الشفاف على ورق المخطوط بدون غراء	-Laminadora
- آلة التقصيص الكهربائية	-Massicot
- البرشمان	-Tranche File
- التبطين	-Garde blanche
- الترميم	-Restauration
- التعليب	-Emboitage
- التدوير	-Arondissure
- التظهير	-Endossure
- جلد الخروف	-Peau de mouton
- حاملة الحروف	-Composteur
- الدفف	-Platcarton
- دلك	-Frott
- دهن	-Encollage
- ترقيق الجلد	-Amincissement du cuir
- شريط من الورق	-Bande de papier
- عظم العاج	-Plioir
- عطف	-Plier
- جلد المعز	-Peau de chevre
- قصص	-Ranger les Tranches d'un livre
- الكراس	-Cahier
- كسى	-Couvrir de peau les cartons d'un livre
- الكعوب (تقطع من ورق الكارطون)	-les nerfs
- كمّاش	-Plis, Plissent

-Colle Blanche	ـ الغراء الأبيض للورق
-Colle a Froid (Remy)	ـ الغراء للجلد
-Colle Synihetique (JAUNE)	ـ الغراء الأصفر
-Toile	ـ القماش
-Cisaille	ـ المقطع
-Presse	ـ المكبس
-Poincon	ـ المخرز
-Cousoir	ـ المرمة
-Pince à nerfs	ـ ملقط الكعوب
-Papier cristal	ـ الورق الشفاف
-Papier kraft	ـ ورق التلفيف
-Buvard	ـ نشاف

مصادر الكتاب ومراجعه

مصادر الكتاب ومراجعه

المصادر والمراجع المغربية:

أحمد الناصري، الاستقصا

أحمد محمد السيفاني، صناعة تسفير الكتب وحل الذهب

عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب

عبد الله كنون، النبوغ المغربي

عبد الرحمان ابن خلدون، المقدمة

عمر ابن بكر اللخمي الاشبيلي، التيسير في صنعة التسفير

محمد المنوني، تاريخ الوراقة المغربية

المصادر والمراجع الأجنبية

حسن حسني عبد الوهاب: شهيرات التونسيات

زيغريد هونكة، شمس العرب تسطع على الغرب

د. الكسندر شيبتشفيتش: تاريخ الكتاب القسم الأول والثاني. ترجمة: د. محمد م. الأرناؤوط

المقري، نفح الطيب

مجلة الفيصل

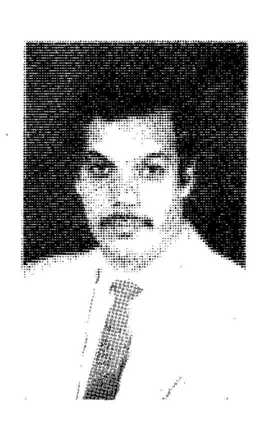
- فهرس اللوحات
- فهرس الأعلام البشرية
- فهرس أسماء الأماكن
- فهرس محتويات الكتاب

فهرس اللوحات

فهرس الأعلام البشرية

فهرس بأسماء الأماكن

محتويات الكتاب



المؤلف

- السعيد بنموسى .
- من مواليد 12 دجنبر 1954 بالرباط
- موظف بالخزانة العامة للكتب بالرباط منذ سنة 1971
- باحث وخبير في فن تسفير الكتب وترميم المخطوطات
- درس فن ترميم المخطوطات على يد خبير اسباني يدعى (Vicente).
- حائز على جائزة المرحوم محمد ابراهيم الكتاني التي تنظمها الجمعية المغربية للتضامن الإسلامي
- شارك في عدة معارض بالمغرب من أهمها:

ـ معرض مجمع الصناعة التقليدية بالرباط سنة 1979، وأحرز على شهادة أمهر صانع.

ـ والمعرض الدولي الخامس للكتاب بالدار البيضاء سنة 1994



بسم الله الرحمن الرحيم

جائزة

محمد ابراهيم الكتاني

لاحياء التراث وتحقيق المخطوطات

* * * * * *

إن الأستاذ السيد السعيد بنموسى قد نال جائزة المرحوم الأستاذ محمد ابراهيم الكتاني في دورتها الثانية لسنة 1417هـ 1996 م .

عن بحثه القيم :

(تاريخ فن تسفير المصاحف والكتب المخطوطة من عهد الموحدين إلى عهد الشرفاء العلويين)

الرباط في 15 نوفمبر 1996

لجنة جائزة

محمد ابراهيم الكتاني